انفراد.. تفاصيل مشروع «ديوان الشعر المصرى» قبل إطلاقه فى معرض الكتاب

أحمد الشهاوى: نقدم وجه مصر المنسى.. والجامعة ليس فيها مقعد لتدريس الأدب المصرى

حرف

الدستور الثقافى

إصدار إلكترونى يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر

رئيس مجلس الإدارة والتحرير محمد الباز

الأربعاء 10 يناير 2024

جمادى الآخرة 1445 28

طوبة 1740 1

ياسين

التجليات الروحية للمداح الأعظم بخط يده

لغز مذكرات نجيب محفوظ

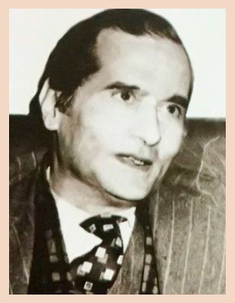

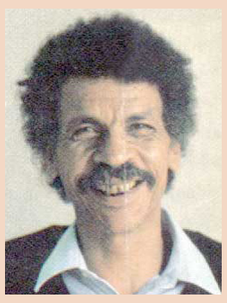

لص القصائد

كيف سرق «نجم» فؤاد حداد؟

الحكمدار

سر عبدالباسط حمودة

السيرة غير المنشورة لـ«فاتن حمامة»

الحكيم وولده

إسماعيل ذنب توفيق الحكيم الذى لا يغتفر

لماذا حرف؟ جريدة ثقافية لاستعادة سلطة الكلمة وسطوتها

تعيش الصحف الورقية أزمة وجود، يبحث الجميع عن طريق للخروج بها من أزمتها دون جدوى.

أغلب الظن أن من يفعلون ذلك إما غير مخلصين أو أنهم- وهذا الأقرب لاعتقادى- لا يعرفون على وجه التحديد موطن العلّة وموضع الخلل، ولذلك يصفون دواءً لمريض لا يعرفون عنه شيئًا إلا أنه يتوجع.

سأترك الذين يريدون بعث الروح فى الصحف الورقية يبحثون علّهم يصلون إلى نتيجة، لكننى سأبدا صفحة جديدة، فإذا كانت المواقع الإلكترونية وشبكات التواصل الاجتماعى فرضت علينا نمطًا معينًا من القراءة، فلماذا لا نجرب هوايتنا فى صناعة الصحف- شكلًا ومضمونًا- ونستخدم هذا الوسيط الإلكترونى الهائج هيجان الثور فى حلبة مصارعة لتمرير ما نريده من كتابات وأفكار.

لقد أرهقت ومضات ونبضات التكنولوجيا المحتوى الصحفى، وعبثت بمنظومة إنتاجه، فأحالته إلى جثة هامدة متهالكة على أجهزة التنفس الصناعى، لا يحتاج إلا إلى شد «الفيشة» ليموت ويستريح.

عبثت التكنولوجيا فى الأشكال الصحفية وأساليب الكتابة ونوعية الأفكار التى تسعى الصحافة إلى معالجتها، فرضت علينا أنماطًا صحفية شكلية بلا روح، أضاعت منا أجيالًا كثيرة وطمست مواهب وهمّشت أصحاب كفاءات، لأنهم لم يستطيعوا مجاراة قدر الإعلام الجديد الذى صنعته التكنولوجيا وفرضته فرض المستبد الذى لا يرحم على من لا يملكون وصلًا ولا ودًا بها.

فى «حرف» إصدار مؤسسة «الدستور» الثقافى نضع بين أيديكم «جريدة ثقافية»، تحمل من سمات الصحف الورقية كل شىء، إلا شيئًا واحدًا وهو طباعتها على الورق، الذى بدأ هو الآخر رحلة جنون فى أسعاره وتوفره والإقبال عليه.

إننا لا نريد هنا إعادة مجد الصحافة الورقية، فالأمجاد مهما طالت إلى زوال.

لكننا نريد أن نعيد للكتابة الصحفية بريقها ولمعانها ورونقها ومجدها، وأعتقد أننا قادرون على ذلك، فلا يزال الإبداع هو لغة الصحافة المصرية لن يغادرها أبدًا، قد يكون تاه قليلًا فى حرب الوسائط العشوائية، لكنه موجود، لا يريد أكثر من عوامل تحفيزه، وهو ما سنحاول أن نفعله هنا.

وإذا سألتنى ولماذا تقدمون جريدة ثقافية؟

لماذا لا تكون جريدة عامة؟

سأقول لك قد تكون هذه الجريدة الثقافية بداية لإصدار جريدة إلكترونية عامة، تأخذ من الصحافة الورقية شكلها وتبويبها ورصانة الكتابة فيها، ولا تعتمد على الورق فى الوصول إلى قرائها، لكن لماذا لا نجرب أولًا فى مجال من يسعى خلفه متخصص، رغم أننا نعدكم أن نقدم محتوى ثقافيًا يستمتع به القارئ العام، ولا يتوقف عند حدود القارئ المتخصص المثقف، فعقيدتى منذ بدأت حياتى فى الصحافة أن ما أقدمه لا بد أن يكون بالجميع وللجميع.

يعمل إلى جوارى فى هذه الجريدة أصدقاء وزملاء وأساتذة، هم فريق «حرف»، لكننى أدعو الجميع إلى أن يكونوا فريقنا، فالجريدة مفتوحة للجميع، سنكون ساحة مفتوحة للكتابة والإبداع والتجريب والشطحات، إذا جاز التعبير.

لن أحدثكم عما لدينا.. سأترككم تتعرفون علينا مما سنقدمه لكم.. على وعد أن نكون صوت الثقافة الحقيقية وبمعناها الشامل فى مصر بعيدًا عن الموضات العشوائية والثرثرات الفارغة والتنظيرات الهائمة.

لن نلتفت إلى الحروب الكلامية ولا إلى حروب تصفية الحسابات، فقد عرفنا العالم بالثقافة، والآن بـ«حرف» سنقول للعالم إننا لم نتراجع، قد تكون الثقافة المصرية كمنت قليلًا، لكنها لا تزال حية تعمل وتقاوم وترسم للآخرين الطريق.

لقد جئنا لكم لنعيد للكلمة سلطانها وسلطتها وسطوتها.

وكل ما أعدكم به أننا سنفعل ذلك قدر طاقتنا بدعمكم ومساعدتكم ودعائكم لنا أن يحقق الله مقاصدنا التى لا نطلب بها إلا وجه الوطن.

الباز

طه دسوقى

لماذا لا نحلم بـ«زعيم» جديد؟

«عندى وجهة نظر أن طه دسوقى بداياته شَبه عادل إمام، قريب منه، ولو ركز هيبقى نجم كبير فى المستقبل»... كتب أحدهم هذه العبارة على واحد من أكبر «المجموعات» المهتمة بالفن على «فيسبوك».

جاءت الجملة صادمة للغاية، ما بين رافض للفكرة وساخر منها، ومؤيد لها تمامًا، إلى جانب فريق ثالث يرى أن هذا ممكن لكن بشروط معينة، من بينها استمرار الفنان الشاب فى تطوير نفسه، وامتلاك إدارة أعمال واعية وخبيرة.

وسواء من أيد الفكرة، أو رفضها وسخر منها، أو رهنها بشروط معينة، اتفق جميعهم على أن «دسوقى» يمتلك موهبة من نوع خاص، وأنه فى مسلسله الأخير «حالة خاصة» أثبت قدرته على أن يكون رقمًا مهمًا فى الساحة الفنية، فالانتقال من الـ«ستاند أب كوميدى»، ثم «كوميديان» فى أفلام ومسلسلات وبرامج وإعلانات، إلى ممثل يجسد شخصية شاب مريض بـ«التوحد» بهذا الإتقان، تحول لا يأتى إلا من فنان موهوب، بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

كما تخرج «الزعيم» فى كلية بعيدة عن المجال الفنى، هى كلية الزراعة جامعة القاهرة، وكانت بدايته وتوهجه على خشبة المسرح، تخرج «دسوقى» من كلية الحقوق جامعة عين شمس. وكان تألقه على المسرح أيضًا، لكن من خلال بوابة الـ«ستاند أب كوميدى».

قدم «دسوقى» عددًا كبيرًا من عروض الـ«ستاند أب كوميدى» منذ ٢٠١٣، فى «ساقية الصاوى» ومسارح أخرى، ولفت إليه الأنظار بشدة، حتى صُنف من بين أهم نجوم هذا الفن، فالتقطته عين المخرج هادى الباجورى، ورشحه لتقديم إعلان تليفزيونى، مع الممثل الكبير سمير غانم، وكالعادة «خطف الكاميرا»، أمام نجم كبير وموهبة كوميدية جبارة بحجم «سمورة».

كان من الطبيعى أن يستعين به صناع الأعمال الفنية، ليقدم خلال عامى ٢٠٢١ و٢٠٢٢ العديد من الأفلام والمسلسلات المهمة، من بينها «فرق خبرة» و«فضل ونعمة» و«حظك اليوم»، وصولًا إلى «المطاريد» و«فوى فوى فوى»، على الشاشة الكبيرة.

أما على الشاشة الصغيرة، فقدم «دسوقى» أبرز الأعمال فى مسيرته، خاصة مع النجم ماجد الكدوانى، فى مسلسل «موضوع عائلى» بجزئيه الأول والثانى، و«الصفارة»، مع أحمد أمين، الذى يعتبره «أستاذه»، فضلًا عن مسلسلات أخرى، مثل «فى بيتنا روبوت» و«بيمبو» و«الوضع مستقر». وفى سكة الـ«ستاند أب كوميدى» أيضًا، أو من منطقة قريبة منها، شارك «دسوقى» أحمد أمين فى برامجه الكوميدية التى حققت نجاحًا كبيرًا، وعلى رأسها «أمين وشركاه».

وكما كان التغير الجذرى فى مسيرة الزعيم عادل إمام، من أدوار «السنيد» وشخصية «القروى الساذج» والأفلام الكوميدية فى بداياته، إلى روائعه مع وحيد حامد، بدأ «دسوقى» هذا التغير من خلال مسلسل «حالة خاصة»، الذى بدأ عرضه على منصة «Watch iT»، الأربعاء الماضى، ويجسد فيه شخصية شاب مصاب بمرض «التوحد».

وما إن أطل «دسوقى» بشخصية «نديم» على الشاشة، حتى حاز على إعجاب كبير من قِبل المشاهدين، بل وأطباء نفسيين، أشادوا بطريقة تجسيده لـ«مريض التوحد»، التى تقترب من الواقع بصورة كبيرة، بل وتتطابق معه.

رأى الجميع أننا أمام موهبة كبيرة، تشق طريقها فى عالم النجومية بخطوات ثابتة مدروسة، ودفعت البعض إلى تشبيه إياه بـ«الزعيم» الذى لا شبيه له فى الساحة الفنية، ولسان حالهم يقول: كنا نقول لا «ريحانى» آخر سيأتى فجاء «مدبولى»، ولا «مدبولى» آخر سيأتى فجاء «المهندس»، ولا «مهندس» آخر سيأتى، فجاء «الزعيم»، فلم لا ننتظر «زعيمًا» جديدًا، فى بلد تُوصف بـ«الولادة» فى كل مجالات الإبداع؟!

كرم منصور

> طه دسوقى موهبة تشق طريقها فى عالم النجومية بخطوات ثابتة مدروسة

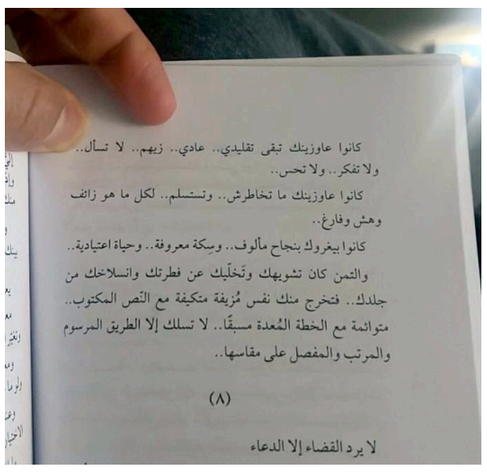

مؤمن المحمدى

ما تتحسبش كدا يا صاحبى

الفكرة الأساسية فى تسويق كاراكتر السويسى هى تكوين صورة ذهنية عن الهجرة غير الشرعية، من خلال تقديم منتج واقعى فى مقابل المخيال الشعبى اللى اتعبى سنين طويلة بـ نماذج من نوعية «موهامد» و«همام فى أمستردام».

النماذج دى حتى لو كان معروف إنها شخصيات خيالية فى أفلام، لكنها بـ تظل هى النقطة الأعلى فى المشوار، نقطة الأمل، النقطة اللى عندك فرصة ولو ضعيفة فى الوصول إليها، ولو ما وصلتش فـ إنت ما تعرفش حاجة عن الطريق إليها، بـ التالى ما تعرفش صعوبة هذا الطريق، وبـ تفترض فى نفسك تحمله، بل ربما تفترض إنه فيه قدر ولو قليل من الرفاهية.

تصحيح الصورة الذهنية دى مستحيل يحصل بـ إرشادات أو توعية، بـ التالى إحنا بـ نقابل نموذج «حقيقى»، النموذج دا كمان ناجح، ما تقدرش تصفه بـ الفشل، هو وصل لـ أفضل نقطة «على أرض الواقع» وهو يبدو سعيدا بـ ذلك مع عائلته البسيطة.

السويسى كمان ظريف ولطيف ودمه خفيف وشبه كتير من أهل مصر، فـ من السهل جدًا تتخيل نفسك أو ابنك مكانه، ومفيش فى قصته حاجة منفرة، أو تفاصيل مستهجنة اجتماعيًا، يعنى من الآخر هـ تشتريه وتتعاطف معاه، وتتسرب لك تفاصيل قصته زى السكينة فى الحلاوة.

فيديوهات السويسى من صميم حياته، بـ يصور يومه الاعتيادى، فـ حضرتك تعرف إنه هذا الشخص «الناجح» بـ يشتغل حاجات صعبة جدًا، رغم إنه حريص على إنكار هذه الصعوبة، بس هو بـ يوريك إيديه عاملة إزاى، وبـ يشتغل فى أجواء باردة إزاى، وبـ يقابل حاجات لما تفكر فيها تلاقيها أهوال مش زى ما هو بـ يقول.

> السويسى كمان ظريف ولطيف ودمه خفيف وشبه كتير من أهل مصر

ساكن فى حتة مسميها هو «عزبة الصفيح»، أقل من أماكن كتير شعبية فى مصر، بـ يستهلك جزء كبير من طاقته فى توفير قروش بسيطة، فـ لما بـ يدخل السوبر ماركت بـ يحسبها بـ السحتوت علشان يشترى حاجات بسيطة جدًا، ويفرح بـ أى أكلة نضيفة شوية، مش بـ تتكرر كتير.

اتجوز؟ آه اتجوز. واتجوز ست شكلها طيب، وليها عيلة شبه عيلتنا، لكن الجوازة برضة فيها تعقيدات كتير أكيد إنت مش هـ تحبها لـ نفسك، بداية من تعقيدات الديانات، وعلاقته بـ بنتها اللى من زيجة سابقة، كما إنها يعنى مش جميلة زى الأستاذة وفاء سالم أو الأستاذة مواليزا، دى زى «بهانة» كما يسميها.

بهانة هى أقصى ما يمكن لـ السويسى الوصول إليه، ما كانش عنده فرص أفضل وهو رفضها، وهو لـ إنه صابر وجدع وعنده جلد وحمول، فـ هو راضى بيها وبـ كل تفاصيل عيشته «الصعبة»، وبـ يقابل كل دا بـ ابتسامة تحسده عليها.

لما تتابع الفيديوهات دى هـ تلاقى نفسك بـ تحب السويسى، بس مش هـ تحب تكون مكانه، والأهم إنك مؤكد هـ تراجع الصورة الذهنية اللى عندك، لـ إنه إذا كان دا اللى نجح، وتجاوز الأهوال، ونجا من البحر، وتحمل سنوات الاستغلال الأولى، فـ ما هو مصير النسبة الأكبر اللى ما قدرتش تتخطى كل هذا؟

بـ اختصار، من فيديوهات السويسى هـ تعرف بـ الدليل العملى إنها «ما تتحسبش كدا يا صاحبى».

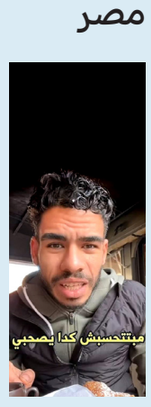

لماذا يقرأ صلاح كتب الصحة النفسية والتنمية البشرية؟

نشر نجم ليفربول وقائد المنتخب الوطنى محمد صلاح صورة، عبر «إنستجرام»، من كتاب يقرأه بمعسكر منتخب مصر الوطنى استعدادًا لكأس الأمم الإفريقية؛ وهو كتاب الدكتور محمد طه استشارى الطب النفسى المصرى بعنوان «الخروج عن النص»؛ وهى ليست المرة الأولى التى يشارك فيها نجم ليفربول متابعيه بصورة مع كتاب على مواقع التواصل الاجتماعى؛ حيث نشر من قبل صورة له وهو يقرأ كتاب «فن اللامبالاة» للكاتب الأمريكى مارك مانسن، والذى يُصنف ضمن كتب التنمية البشرية.. وهو ما يدعو للتساؤل: لماذا يفَضل محمد صلاح قراءة كتب الصحة النفسية والتنمية البشرية؟

يتناول كتاب «فن اللامبالاة» عنوانًا فرعيًا هو «لعيش حياة تخالف المألوف»؛ وهى عبارة توضح فى مجملها عدم الهروب من مواجهة الحقائق الموجعة، فالعالم فى نظر مؤلف الكتاب ملىء بالسيئين الذين لا بد وأن يتم التعامل معهم على ذلك، وعدم ترك الإيجابية التى تشير إلى أنّ التفكير الإيجابى هو المفتاح لحياة قوية وسعيدة.

عقب مشاركة «صلاح» صورة له مع غلاف كتاب «فن اللامبالاة» لمارك مانسن؛ سرعان ما غرد الكاتب الأمريكى مؤلف الكتاب على حسابه بموقع «تويتر»، قائلًا: «لك مزيد من محبتى.. استمتع»؛ ليؤكد ما ذهب إليه فى كتابه «لنكن صادقين، السيئ سيئ، وعلينا أن نتعايش مع هذا.. جرعة من الحقيقة الفجّة الصادقة المنعشة هى ما ينقصنا اليوم، هذا الكتاب ترياق للذهنية التى نهدهد أنفسنا بها، فلنعمل على أن يكون لدينا شعور طيب»؛ وهو ما يفسر طبيعة الحياة الجافة التى يعيشها «صلاح» ببريطانيا رغم نجوميته التى تجاوزت بريطانيا لكل أنحاء العالم ووجوده وسط أسرته الصغيرة، زوجته وبناته، إلا أنه وبعيدًا عن الأضواء دائمًا ما يذهب «صلاح» لصفحات الكتب التى تعوضه فقدانه عن دفء أسرته الكبيرة فى مصر، ووطنه.

«مو صلاح» الذى يمل من النصوص المتكررة والسيناريوهات المحفوظة

مؤلف كتاب «الخروج عن النص» الدكتور محمد طه علق أيضًا على قراءة «مو صلاح» كتابه، وذلك عبر حسابه بموقع «فيسبوك»؛ قائلًا: «لا تتخيلوا الناس فى ليفربول وفى إنجلترا كلها بيحبوا محمد صلاح إزاى»، متابعًا: «أنا واحد من ملايين مشجعى ومحبى كابتن مصر الاستثنائى محمد صلاح. سعدت جدًا واتشرفت إنه يقرأ أحد كتبى، وفخور إنه يشير لبعض الفقرات على ستورى صفحته.. ده شرف كبير جدًا لى. أنا حاليًا أقيم وأعمل فى ليفربول.. ولا تتخيلوا الناس فى ليفربول وفى إنجلترا كلها بيحبوا محمد صلاح قد إيه.. مش بس بيحبوا محمد صلاح.. دول بيعشقوا مصر، وبيحترموا كل مصرى ويقدروه».

واستشهد مؤلف الكتاب بجزء من مقدمة كتابه الأول الصادر سنة ٢٠١٦؛ قائلًا: «حياتنا مليانة نصوص مُكرّرة وسيناريوهات محفوظة.. من أول نص الأب والأم.. بتاع اسمع الكلام.. وما تعليش صوتك.. وما تقولش لأ.. وما تزعلنيش علشان تبقى شاطر.. واشرب اللبن علشان أحبك. وبعدين نص التّفوق فى الدراسة.. بتاع ذاكر واحفظ ولازم تطلع الأول وتجيب الدرجات النهائية وتدخل كلية الطب وتطلع دكتور».. وهى مقدمة تكشف عن جانب من طبيعة شخصية «مو صلاح»، الذى يمل من النصوص المتكررة والسيناريوهات المحفوظة.

.. ود. محمد طه: كتابى نفسه خروج عن النص

تواصل معى العديد من الزملاء والأساتذة الإعلاميين والصحفيين بخصوص تعليقى على ستورى كابتن مصر محمد صلاح، الخاصة بكتاب «الخروج عن النص من جديد»، وطلبًا لنبذة عن الكتاب. التليفون والماسنجر والواتساب مش ملاحقين مكالمات ورسائل وأسئلة، لدرجة إنى مش عارف أرد.

هذا هو تعليقى وإجابتى:

أنا واحد من ملايين مشجعى ومحبى كابتن مصر الاستثنائى محمد صلاح. سعدت جدًا واتشرفت إنه يقرأ أحد كتبى، وفخور إنه يشير لبعض الفقرات على ستورى صفحته.. ده شرف كبير جدًا جدًا لى.

أنا حاليًا أقيم وأعمل فى ليفربول.. ولا تتخيلوا الناس فى ليفربول وفى إنجلترا كلها بيحبوا محمد صلاح قد إيه.. مش بس بيحبوا محمد صلاح.. دول بيعشقوا مصر، وبيحترموا كل مصرى ويقدروه.

الكتاب ده هو أول ما صدر لى من كتب، صدر سنة ٢٠١٦، بعنوان «الخروج عن النص» دار «تويا للنشر»، ثم صدرت منه طبعة جديدة بها عدد أكبر من الفصول عن دار الشروق سنة ٢٠٢٢ بعنوان «الخروج عن النص من جديد». الكتاب اسمه بيعبر عن فكرته ومحتواه. ده جزء من مقدمة الكتاب:

«حياتنا مليانة نصوص مُكرّرة وسيناريوهات محفوظة.. من أول نص الأب والأم.. بتاع اسمع الكلام.. وما تعليش صوتك.. وما تقولش لأ.. وما تزعلنيش علشان تبقى شاطر.. واشرب اللبن علشان أحبك.. وبعدين نص التّفوق فى الدراسة.. بتاع ذاكر واحفظ ولازم تطلع الأول وتجيب الدرجات النّهائية وتدخل كلية الطب وتطلع دكتور.. وبعدين نَص المجتمع.. بتاع ضِل راجل ولا ضِل حيطة، وإن فاتك المِيرى اتمرمغ فى ترابه، واللى مالوش كبير يشتريله كبير.. وبعدين النّص الوحيد اللى يحددهولك شيخ أو كاهن- مع كل الاحترام- للوصول لربنا.. مع إنّ طرق الوصول له -سبحانه وتعالى- متعددة بعدد الخلق والخلائق.. ساعات كتير بنحاول نخرج عن النّص.. بطُرق مختلفة، وأساليب مُتعددة.. بس دايمًا بيكون فيه حاجة ناقصة.. مهم إننا نعرفها ونمارسها الأول.. الحاجة دى اسمها (الوعى النّفسي).. إحنا محتاجين نعرف أكتر عن نفسنا، عن مشاعرنا، عن طُرق تفكيرنا، عن دوافع تصرفاتنا.. محتاجين نعرف عن علاقاتنا بمختلف أنواعها وأنماطها، قد إيه منها مشوّه ومُؤذى، وقد إيه منها صحيح ومُفيد.. محتاجين نعرف عن أفعالنا وردود أفعالنا اللحظية واليومية مع الآخرين، أصلها إيه وجاية منين ورايحة فين.. فى كتير من الثقافات المُتقدمة، بتلاقى رجل الشارع العادى يعرف عن علم النفس موضوعات وتفاصيل أكتر مما تتصور، علشان ده جزء مهم جدًا من التّكوين المعرفى لأى إنسان مُتحضر ومُستنير، بغض النّظر عن مهنته ومستواه الاجتماعى أو الاقتصادى.. مُهم جدًا فى رحلة أى حد فينا إنه يقف شوية قُدام المراية.. المراية النفسيّة.. اللى من خلالها يقدر يشوف نفسه، ويعرفها، ويتعلّم منها، علشان يخرج عن النصوص القديمة، ويبدأ يقبل نفسه، ويحبها، ويغيرها للأحسن.. وهى رحلة تستحق التّعب، والصبر، وبعض الألم.

الكتاب ده نفسه.. خروج عن النّص.. خروج عن النص المُعتاد لتقديم الكتب العلمية بشكل عام والنفسية بشكل خاص.. خروج عن نص احتكار وتخزين المعرفة النفسية فى صناديق مُغلقة داخل حجرات مُظلمة وعدم الاجتهاد فى توصيلها إلا بلغة صعبة ومفردات مُقعّرة، بتبعدنا فى أوقات كتير عن جمال العلم وبساطته.. علشان كده الكتاب مكتوب بالعاميّة المصريّة، للتبسيط والتّيسير، وتوصيل الأفكار والمعلومات النفسيّة العميقة- والمُعقدة فى بعض الأحيان- باستخدام لغة سهلة ومفردات بسيطة.

خروج عن نص الفصل الرهيب بين العلم والفن فى كتير من أعمالنا الأدبيّة والعلميّة والفنيّة.. وفتح الباب على مصراعيه للخُرافات والخُزعبلات غير المبنية على أى أساس علمى.. علشان كده بعض الأفكار والمواضيع اللى بيقدمها الكتاب هيكون مدخلها أحداث أو مشاهد فنية أو درامية..

الكتاب ده هايساعدك إنك تشوف..

تشوف نفسك، بكتير من تفاصيلها وخباياها..

تشوف الآخرين، بطريقة جديدة ومختلفة تمامًا..

وتشوف علاقاتك، بدرجة عالية من الدّقة والوضوح..

الكتاب ده هيساعدك إنك تتغير..

يالا بينا.. نخرج عن النّص.. فى اتجاه النور.. فى اتجاه الحياة..

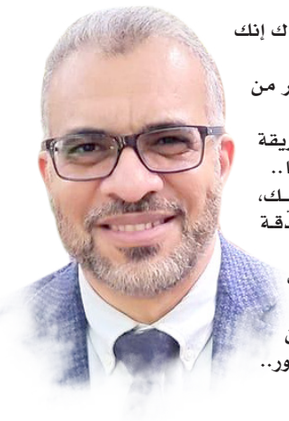

الخروج عن النص من جديد

د. محمد طه

دار الشروق

لغز مذكرات نجيب محفوظ

إبراهيم عبدالعزيز

أقنعنا أديبنا العالمى نجيب محفوظ طوال حياته- خاصة بعد حصوله على جائزة نوبل- أنه لم يكتب مذكراته رغم أنه اعترف للكاتب المسرحى فؤاد دوارة قائلًا: «حين قرأت الأيام لطه حسين، ألفت كراسة- أو كتابًا- كما كنت أسميها وقتذاك (الأعوام) رويت فيها قصة حياتى على طريقة طه حسين، وألفت كراسة أخرى وضعت فيها فلسفتى فى الحياة والكون والخالق، ومع قراءاتى للمنفلوطى كنت أؤلف (نظرات) و(عبرات)، وأذكر أنى فى هذه الفترة كتبت الشعر، هذا يرجع إلى سنتى 1925 و1926، كانت كلها (القصائد) فى بادئ الأمر تدور حول الحب، وربما ذكرت فى بعض القصائد علاقات معينة وأسماء بطلاتها».

إذن فقد كتب نجيب محفوظ مذكراته شعرًا ونثرًا، ولكنه لم ينشرها، وعندما حاولت بالإلحاح على نجيب محفوظ أن أعرف منه مصيرها، تخلص من إلحاحى بعصبية نادرًا ما نلحظها عليه- نحن جلساء ندواته- وقال لى: حرقتها! وذلك حتى لا أعود لسؤاله مرة أخرى، وعندما كنت أتطرق لسؤاله عن بعض جوانب حياته الشخصية لم يكن يتجاوب معى كثيرًا، حتى إننى أذكر أن د. فتحى هاشم- الذى أنقذه من طعنة السكين الغادرة إبان محاولة اغتياله فى أكتوبر ١٩٩٤- قال لى: الأستاذ نجيب لا يريدك أن تسأله أسئلة شخصية. ففهمت أن هذا طلب محفوظ نفسه وإن لم يرد حرجًا أن يوجهه لى بنفسه، وقد تأكد لى ذلك من ملاحظته لى حينما نشرت بعضًا من جوانب حياته الزوجية والأسرية بمجلة «نصف الدنيا» أيام تألقها فى عصر مؤسستها سناء البيسى، ففوجئت بنجيب محفوظ يقول لى أمام جلسائه فى لقائنا به فى فندق «شبرد»: متى ستنتهى من حلقاتك؟- ولحسن الحظ كانت الخاتمة- فأجبته مطمئنًا: إنها الأخيرة. فصمت راضيًا.

ولما كثرت الأسئلة حول سيرته الذاتية، خاصة بعد حصوله على جائزة نوبل، قال متواضعًا: «ربما لأننى أرى أن الذى يكتب سيرته الذاتية للناس، يرى أن فيها ما يستحق مجهوده فى الكتابة ومجهود الناس فى القراءة، وأصارحك حين أقول إن معظم السير الذاتية التى استمتعت بها كقارئ كانت لزعماء سياسيين أو قادة عسكريين، وذلك لما تركوه من بصمات فى التاريخ، حيث كانت حياتهم جزءًا لا يتجزأ من حياة أممهم، وقد قارنت ذلك بحياتى الرتيبة العادية سواء فى الصغر أو فى الكبر، فوجدت أن حياتى لا تستحق كتابة سيرة ذاتية».

ولكن هل كان هذا هو رأى نجيب محفوظ الحقيقى فى نفسه، أم أن هذا كان رأيًا يصدره لنا حتى نكف الحديث عن مطالبته بكتابة سيرته الذاتية، ليسد بعض شوقنا إلى هذه السيرة ببعض جوانب من حياته تحدث فيها مع جمال الغيطانى فى كتابه «نجيب محفوظ يتذكر ورجاء النقاش» فى كتابه «نجيب محفوظ.. صفحات من مذكراته وأضواء جديدة على أدبه وحياته»، ثم حاول كاتب هذه السطور أن يجمع كل ما كتبه وصرح به محفوظ عن حياته فى سياق متتابع من الطفولة حتى حصوله على نوبل فى كتاب سميته «أنا نجيب محفوظ.. سيرة حياة كاملة»، وقد أهديته له فى حياته وأثنى عليه، وكتب لى على نسخة منه «مع تحياتى»، ولكن نجيب محفوظ فى كل ما تحدث به عن حياته لم يكن يعطى كل شىء أو حسب تعبيره «كنت أريد أن يرى القارئ منى ما أريد أن أقوله أنا له».

نجيب محفوظ وحرمه

«أديب نوبل» لم ينشر مذكراته فى حياته نظرًا لخطورة ما كتبه

هدى

أما الحقيقة التى نجح محفوظ فى إخفائها عنا طويلًا وكثيرًا، فهى أنه كان عارفًا تمام المعرفة بقيمة نفسه، ولذلك كان يدوّن بخطه وقلمه كل أحداث حياته منذ ثلاثينيات القرن العشرين حتى تسعينياته عندما طعنه جاهل متطرف بسكينه الغادرة، ولكنه لم يشأ أن ينشر شيئًا من سيرته فى حياته وتركها للظروف، وكان يمكن لابنته هدى ألا تقوم بترتيب مكتبته، وينتهى مصيرها إلى سور الأزبكية أو إلى الضياع كما حدث لمكتبات كثير من كتابنا وأدبائنا وفنانينا فى ظل غياب نظام أو قانون يحفظ هذه الكنوز للأجيال القادمة، ولكن لحسن حظنا أن بنت نجيب محفوظ كانت واعية ومثقفة ومهتمة، فإذا بها تقدم لنا مفاجآتها التى للأسف لم يلتفت إليها أحد، وكأنها تحدثت لمحرر مجهول فى مطبوعة مجهولة!

ففى ندوة بنقابة الصحفيين أدارها الأديب والكاتب الصحفى د. محمد الباز حول الكتاب القيم لزميلنا محمود مطر عن نجيب محفوظ، تحدث أحد الحاضرين عن حرمان نجيب محفوظ لمحبيه من سيرته الذاتية التى لم يكتبها، وكأن هدى نجيب محفوظ لم تتحدث إلى محررنا الأدبى محسن عبدالعزيز، المشرف على ملحق أهرام الجمعة، لتطلق على يديه خبر الموسم، وهو عثورها أثناء إعادتها ترتيبها لمكتبة والدها نجيب محفوظ على مذكراته بخط يده فى كشكول ضخم بدأها من الثلاثينيات وحتى ١٩٩٥ حيث كتب آخر جملة فيها بعد نجاته من حادث اغتياله- فى البداية كان محفوظ يكتب بدون تواريخ، ثم راح يكتب تاريخ كل صفحة.

ومن حديث هدى نجيب محفوظ مع محسن عبدالعزيز نستطيع أن نخرج بمجموعة من الحقائق والإشكاليات فى نفس الوقت:

أولى هذه الحقائق أن نجيب محفوظ كان يخفى تمامًا أمر مذكراته حتى عن أسرته، ودليلنا أن ابنته هدى لم تكن تعلم وفوجئت هى نفسها بالمذكرات عن طريق الصدفة، وهى تعيد ترتيب المكتبة فى أغسطس ٢٠٢٢ فى ذكرى الأديب الكبير، أى بعد ستة عشر عامًا من رحيله.

ويمكن ملاحظة توقف نجيب محفوظ عن كتابة مذكراته حتى عام ١٩٩٥، حيث كتب آخر جملة فيها بعد نجاته من حادث اغتياله، وكأنه يقول إن حياته قد انتهت بهذا الحادث الفاجع، وما بعدها يهون، وما تبقى من حياته فهو فضل من الله يرجو أن يعيشه فى هدوء ودعة وتأمل، فضلًا عن أن إصابته قد انعكست على قدرة يده على الكتابة، فلم يعد يستطيع أن يخلو بنفسه مع نفسه ليستكمل مذكراته، ومن ناحية أخرى فهو لا يريد إملاءها على أحد مهما كانت ثقته به، لأنه عزم على أن يظل أمر مذكراته سرًا، تاركا أمرها للزمن وللأقدار، حتى فوجئت وفاجأتنا هدى بهذه الهدية الثمينة، وهى عليها أمينة وحريصة.

ولأن نجيب محفوظ لا يستطيع- رغم عدم قدرته على الكتابة- أن يتوقف عن الإبداع، فقد أملى وأهدانا رائعته «أحلام فترة النقاهة» التى ترجمت للإنجليزية والفرنسية لأهميتها، ومن ثم لم يكن محفوظ يسلى نفسه كما قال أحد المحسوبين عليه من مدّعى القرب من الأديب الكبير، والذى حتى لم يراع البروتوكول وهو يتناول عملًا لأستاذ المبدعين وسيد الروائيين، ولعل مثل هذا الموقف وغيره من الادعاءات الباطلة، هو ما أفقد ثقة هدى نجيب محفوظ فى المثقفين أو بعضهم، فجعلها دائمًا حذرة تتوخى الحيطة فى التعامل معهم، وهو ما صرحت به لمحمود مطر فى حديثها المنشور بكتابه المشار إليه.

وليس هناك أبلغ من قول هدى «ما كتبه أبى وسوف ننشره هو بالنسبة لى الحقيقة الكاملة»، ولها فى ذلك أسبابها لأنها أفضل وخير شاهد على حياة والدها، بل إنها فى بعض مشاهد سيرة محفوظ كانت طرفًا، فهى تعترف لأول مرة بأنه قال لها «الثورة- ٢٣ يوليو- قامت بالناس الغلط!»، وهو ما يؤكد نقده لها سواء فى إبداعاته، أو حتى فى حواراته الصحفية، ولا شك أنه فى مذكراته تحدث بصراحة مطلقة مع نفسه يومًا بيوم وحدثًا بحدث، ما يعطى ما كتبه بخط يده أهمية كبرى كشاهد من أهم شهود المرحلة وأشهرهم إبداعًا وصيتًا.

نأتى إلى إشكالية ما كتبه محفوظ عن وقائع وأشخاص قال فيها رأيه بكل صراحة، كما قالت هدى، فى حديثها لمحسن عبدالعزيز، معترفة بأنها مضطرة لحذف الأسماء خشية الإساءة إليها، خاصة أنها تمس بعض الأقارب، ومن ثمّ على القارئ أن يخمن باجتهاده عمن يقصدهم محفوظ بآرائه الصريحة، ولـ«هدى» العذر كل العذر، فهى إذا كانت حريصة على عدم الإساءة لأحد، فهى أيضًا حريصة على ألا تسىء لأبيها حتى لو كان هذا رأيه طالما أنه لم يعلنه فى حياته، ولعل حكمة هدى تتفق مع حكمة والدها نفسه حينما قال فى حديث له مقدرا ظروف مجتمعاتنا الشرقية: «الناس لا تحب أن يكشف أحد أسرارها، والسيرة الذاتية نوع من كشف أسرار الآخرين، أنت لم تستأذنهم فى ذلك، وهم لم يسمحوا به، قد تكون لى أخت وخلافاتها مع زوجها عادية، ولكنها لا تحب أن يعرفها أحد، لو كتبت عنها لظنت أنى فضحتها فى الدنيا كلها، هذه بيئتنا وعلينا أن نسايرها».

ولعل هذا هو السبب الذى جعل نجيب محفوظ لا ينشر مذكراته رغم إدراكه لأهميتها، ولكنه أيضًا كان مدركًا لخطورة ما يكتبه، فعبر عن نفسه لنفسه، ثم ترك الأمر بعد ذلك لتقدير من سيقع عليه عبء نشر هذه المذكرات، ولعل نجيب محفوظ كان ينهج منهج الزعيم سعد زغلول- أحب الشخصيات التاريخية إلى نفسه- فقد كتب مذكراته بمنتهى الصراحة حتى على نفسه، وتركها بعد ذلك للمقادير، فنشرت كما هى لأنه لم تكن له ذرية تراجع وتحاذر وتحتاط، أما نجيب محفوظ فله ابنة وحيدة- بعد رحيل أختها فاتن رحمة الله عليها- وهى الحارسة لسيرة والدها العظيم والأمينة على تراثه، ومن ثم فإن مذكرات نجيب محفوظ تبقى مصانة فى يد أمينة، ولكن يبقى السؤال: متى تنشرها هدى؟.

أطرح هذا السؤال الذى طرحته وغيرى كثيرون بالنسبة لمذكرات أسماء مصرية كبيرة تعامل ورثتهم مع مذكراتهم كإرث عقارى، أو كأوصياء يحق لهم التصرف فيها بصرف النظر عن أى اعتبارات أخرى، بعكس هدى التى تعاملت مع مذكرات نجيب محفوظ بشكل مختلف وراقٍ، ولو كانت لديها أى موانع فى حجبها ما تطوعت بالإعلان عن عثورها عليها، وإنما هى ستحذف منها فقط أسماء تناولها محفوظ بصراحة قد تسىء لهذه الأسماء وتحرج ورثتهم، وهو دفع معقول ومقبول، ويبقى سؤال هدى عن التوقيت الذى تراه مناسبًا لنشر المذكرات.. لقد مرت أكثر من سنة منذ إعلانها عنها.. نتمنى ألا يطول الوقت حتى يستمتع قراء العربية بآخر كتابات أديب مصر العظيم نجيب محفوظ بعد أن أمتعهم بأدبه على مدى حياته الحافلة التى أضاءت حياة المصريين والعرب إبداعًا وإنسانية، واستطاع وحده بجهاده وكفاحه أن يصل بأدبهم إلى العالمية.

كان يدوّن بخطه وقلمه كل أحداث حياته منذ ثلاثينيات القرن العشرين حتى تسعينياته عندما طعنه جاهل متطرف

حكاية أكبر «سرقة شعرية» فى حياة أحمد فؤاد نجم!

صلاح جاهين

فؤاد حداد

فى مقاله الأخير بجريدة «الدستور»، أحيى الكاتب أحمد الخميسى ذكرى شاعرنا الكبير صلاح جاهين، حيث أشار باقتضاب إلى واقعة سرية ارتكبها الشاعر أحمد فؤاد نجم وموقف «جاهين» منها.. حيث قال: «لا ننسى هنا موقف جاهين حين أدرج أحمد فؤاد نجم قصيدة للشاعر الكبير فؤاد حداد ضمن ديوان نجم، دون الإشارة إلى مؤلفها الحقيقى فؤاد حداد، ثم التقى نجم صلاح جاهين فى مجلة صباح الخير التى كانت تحتضن الشعراء الجدد، وقدم نفسه لجاهين، فرد عليه صلاح جاهين: (إنت الولد اللى سرق أشعار فؤاد حداد؟). ورغم ذلك ظل جاهين يساعد نجم ويقدم الدعم له فى كل مجال».

القصة تعود إلى الستينيات، أثناء وجود الشاعر أحمد فؤاد نجم فى السجن بسبب جريمة جنائية وليست جريمة رأى أو سياسة، ووقتها كان فؤاد حداد فى معتقل الواحات، وقد زامل أحمد فؤاد نجم الكثير من الشيوعيين، رفاق فؤاد حداد فى السجن، وآنذاك كانت هناك حركة تنقلات للمساجين من سجن إلى آخر، واستمع أحمد فؤاد نجم من رفاق فؤاد حداد إلى أشعار الأخير، وأعجب بها وحفظها، ولما خرج من السجن وعمل مع يوسف السباعى نشر ديوانًا له وضمنه بعض أشعار حداد، التى كان قد استمع إليها من رفاقه فى السجن، ولم يشر نجم إلى أن الأشعار ليست له.

واعترف نجم بالواقعة فى تسعينيات القرن الماضى، فقال إنه كان قد ذهب إلى صباح الخير ليقابل شعراءها، وكانت «صباح الخير» وسيلة شعراء كثيرين للشهرة، وفى مدخل «روزاليوسف» تقابل مع صلاح جاهين ولما قال له اسمه رد جاهين: «إنت الولد اللى بيسرق أشعار فؤاد حداد؟»، فدافع أحمد فؤاد نجم عن نفسه قائلًا: «أنا لم أسرقها يا أ. صلاح، أنا صعب على أشعار شاعر عظيم معتقل لا تصل للناس، فقررت أن تصل للناس بطريقتى»، فقال له جاهين: «متبقاش تعمل كدا تانى»، ودخل المصعد وحده تاركًا نجم فى مدخل المجلة، وبعدها صعد نجم للشاعر فؤاد قاعود.

«الفاجومى» سرق قصيدة من فؤاد حداد ونسبها لنفسه.. و«أبوالشعراء» وصفه بـ«اللص»

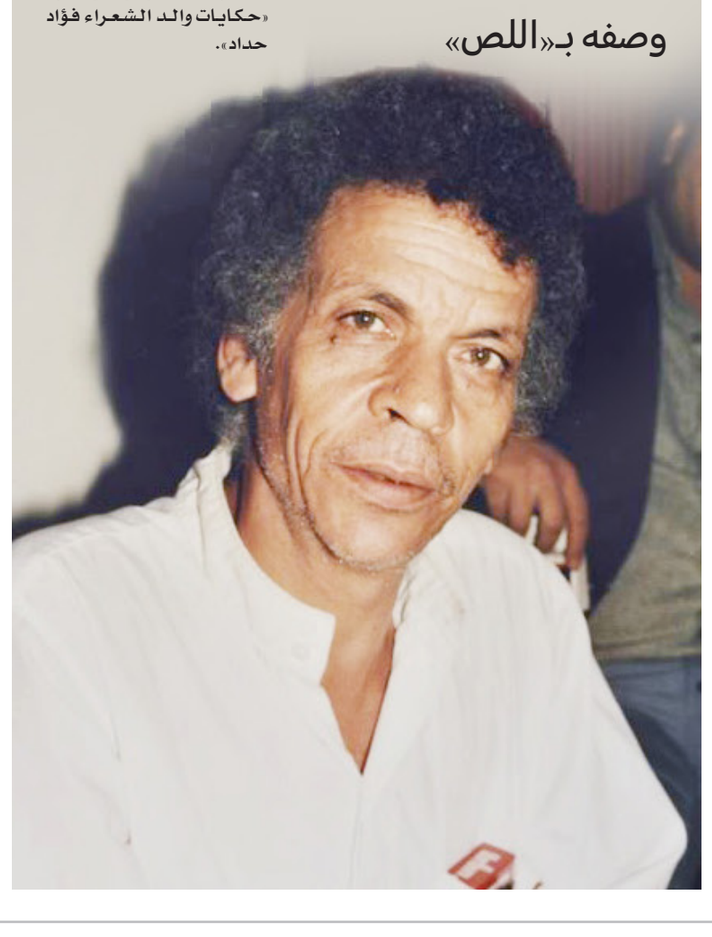

وكانت من بين القصائد التى نشرها نجم قصيدة كتبها فؤاد حداد لابنه أمين، الذى كان صغيرًا فى الثالثة من عمره، وكانت القصيدة تقول..

أبدًا يابا فى بالى
وخيالك فى خيالى
ع السرير بارد وخالى
جنبى يابا مطرحك
..
أنا جسيته وسابت
من عيونى دموع وسابت
ويا باب مقفول وساكت
امتى بابا يفتحك
..
أنا فى الظلمة با أسلم
على نفسى وبا أكلم
نفسى يا بيتنا المظلم
امتى بابا يرجعك
..
وانت يا سلم يا سلم
امتى بابا يطلعك
وانت يا شارع يا شارع
اللى خدته رد راجع
واللى نزلك شفته طالع
حاجة يابا بتمنعك
..
حاجة جوه ولا بره
حاجة لو أعرفها مرة
مهما كانت يابا مرة
علمى يمكن ينفعك
..
أنا لا بتلهينى لعبة
ولا بتسلينى كدبة
بابا يا شمل الأحبة
امتى بابا يجمعك
..
أنا با أفهم فهمونى
يا كبار ما تفهمونى
يا الغطا اللى فوق عيونى
امتى بابا يرفعك
..
كل شىء يرجع أصوله
النهار والليل بطوله
يا الكلام اللى بقوله
امتى بابا يسمعك..
حاجة بتحير تحير
آه يا جسمى الصغير
أنا بس أكبر هغير
كل حاجة بتوجعك

وعندما خرج فؤاد حداد من السجن واكتشف ما اعتبره سرقة قصائده، وطلب منه سمير عبدالباقى أن يفضح الأمر قال فؤاد حداد: ومن سيصدقنى، سهير القلماوى ويوسف السباعى يقدران اللص، وذلك حسبما ذكر هشام السلامونى فى كتابه «حكايات والد الشعراء فؤاد حداد».

صدور العدد الأول من المجلة المصرية للحفاظ على التراث وتفعيل البيع إلكترونيًا

قال الدكتور أسامة طلعت، رئيس دار الكتب والوثائق المصرية، إن الدار أصدرت العدد الأول من المجلة المصرية؛ للحفاظ على التراث الثقافى؛ التى يصدرها مركز الترميم والميكروفيلم بالدار؛ وهى مجلة علمية تعنى بالحفاظ على التراث الثقافى.

وحول أبرز استعدادات دار الكتب لفعاليات معرض القاهرة الدولى للكتاب، قال «طلعت» لـ«الدستور»، إن الدار بصدد إصدار مجموعة من الكتب القديمة، التى لاقت مبيعات كبيرة فى الدورة الماضية من معرض القاهرة الدولى للكتاب، بخلاف الإصدارات الجديدة.

وحول تحول دار الكتب فى ٢٠٢٤ لرقمنة إصداراتها ومخطوطاتها ووثائقها ودورياتها، قال «طلعت»: «إن الرقمنة مستمرة بالفعل فى دار الكتب؛ سواء فيما يتعلق بالوثائق أو المخطوطات أو الدوريات؛ ولدينا معملان للمسح الضوئى والرقمنة، الأول معنى بالمخطوطات والدوريات والإصدارات، والمعمل الثانى معنى بالوثائق بكل أنواعها؛ بالإضافة إلى تفعيلنا بروتوكولًا مع وزارة الاتصالات المصرية؛ ونحن بصدد المراحل النهائية لتجديده لاستمرار عملية الرقمنة والإتاحة من خلال الشبكات الداخلية الموجودة داخل الدار، أو (أونلاين) بعد تفعيل منظومة الدفع الإلكترونية، لإتاحة منتجنا الثقافى للمستفيدين خلال هذا العام، بتوفير نسخ من الدوريات والإصدارات والمخطوطات والوثائق نظير رسوم يتم دفعها أونلاين».

> دار الكتب والوثائق بصدد إصدار مجموعة من الكتب القديمة لطرحها فى معرض الكتاب

حسام الضمرانى

450 عنوانًا لـ«هيئة الكتاب» فى «معرض القاهرة»

أيام قليلة تفصلنا عن انطلاق الدورة الـ٥٥، لمعرض القاهرة الدولى للكتاب، المقرر انطلاقه فى ٢٤ يناير الجارى بمركز مصر للمعارض الدولية بالتجمع الخامس، بمشاركة عدد كبير من دور النشر المصرية والعربية والأجنبية، إلى جانب العديد من الوزارات، والمؤسسات الأهلية. ويأتى المعرض هذا العام تحت شعار «نصنع المعرفة.. نصون الكلمة»، ويحل عليه اسم عالم المصريات الدكتور سليم حسن؛ ليكون شخصية المعرض، واسم الكاتب الكبير الراحل يعقوب الشارونى شخصية معرض الطفل.

وتعمل هيئة الكتاب، فى الوقت الراهن، على الانتهاء من كل التجهيزات المتعلقة بالمعرض، حيث تشارك بمجموعة كبيرة من أحدث إصداراتها، التى تبلغ ما يقرب من ٤٥٠ عنوانًا حديثًا أصدرتها عام ٢٠٢٣، إلى جانب مئات العناوين المختلفة فى كل مجالات المعرفة، أصدرتها خلال السنوات الماضية، ومن المقرر أن تقدم الهيئة خلال أيام المعرض برنامجًا ثقافيًا؛ يؤكد على ريادة مصر الثقافية والحضارية، ويتماشى مع شعار الدورة الجديدة «نصنع المعرفة.. نصون الكلمة».

كما أنها تشارك ببرنامج ثقافى وفنى كبير، يضم مجموعة من مبدعى العالم، لتناول العديد من القضايا الثقافية والأدبية المطروحة فى الساحة الثقافية العالمية حاليًا، فضلًا عن مجموعة من القضايا الأخرى التى تهم الرأى العام العالمى، إلى جانب مناقشة العديد من الإصدارات الجديدة للمبدعين من مصر وخارجها، فى كل المجالات المختلفة.

كما تقدم الهيئة خلال المعرض إصدارات مشروعها الجديد «استعادة طه حسين»، الذى يقدم إلى القارئ العربى، من خلال منهجية جديدة تنظر إلى طه حسين، باعتباره مفكرًا وأستاذًا صاحب مدرسة فكرية وإبداعية، ومعربًا وواضعًا المناهج التعليمية والتربوية، فضلًا عن إصدارات سلسلة «أدباء القرن العشرين» التى عاودت الصدور، فتم إصدار «٥» عناوين أخرى من مؤلفات عميد الأدب العربى فيها، وهى: «الحب الضائع، وأديب، وجنة الشوك، والمعذبون فى الأرض، ودعاء الكروان».

جمال عاشور

«التنسيق الحضارى»: 50 لوحة جديدة ضمن «حكاية شارع»

يستكمل الجهاز القومى للتنسيق الحضارى، برئاسة المهندس محمد أبوسعدة، خطته فى حماية وتعزيز التراث العمرانى والمعمارى المتميز والحفاظ على التراث الثقافى ودوره فى العمل على إحياء الذاكرة القومية والتاريخية للمجتمع المصرى، من خلال امتداد مشروع «ذاكرة المدينة» الذى يضم عدة مشروعات، مثل «عاش هنا، حكاية شارع، ولافتات المبانى التراثية».

وكشف المهندس محمد أبوسعدة، رئيس جهاز التنسيق الحضارى، عن أنه يستهدف تنفيذ ٥٠ لوحة ضمن مشروع «حكاية شارع» فى المرحلة السادسة بمحافظتى الإسكندرية وبورسعيد، ليستكمل ما بدأه خلال المراحل الخمس، الذى يحكى تاريخ شخصيات بارزة من خلال لافتات تقدم مقتطفات عن حياتهم.

وأضاف «أبوسعدة» لـ«الدستور»، أن هناك أيضًا مشروع لافتات المبانى التراثية، وجارٍ العمل على إعداد ٢٠٠ لوحة لأحياء «الزيتون، حى القبة، عابدين، العمرانية»، بعد أن تم الانتهاء مؤخرًا من تنفيذ ٢٠٠ لوحة موزعة على القاهرة والجيزة بأحياء «الزمالك، مصر الجديدة، بولاق أبوالعلا»، إذ يتم المشروع بالتعاون بين الجهاز وجميع محافظات جمهورية مصر العربية، ويهدف إلى التنويه عن المبانى المتميزة، والحفاظ عليها ومساعدة الباحثين فى هذا المجال.

كما يعد الجهاز القومى للتنسيق الحضارى، حاليًا، قائمة بأسماء الشخصيات التى سيتم إدراجها ضمن مشروع «عاش هنا» بعد أن وثق ٩٦٥ شخصية متنوعة لأعلام ورواد فى مجالات فنية وأدبية وعلمية مختلفة أثروا الحياة الثقافية فى مصر، وتم تركيب اللافتات الخاصة بهم على منازلهم التى عاشوا بها، وذلك فى ١٢ محافظة على مستوى الجمهورية.

ومن بين مجهودات التنسيق الحضارى أيضًا؛ استكمال عمل لجنة من مسئولى الضبطية القضائية بالجهاز برصد المخالفات والتعديات على العقارات ذات الطابع المعمارى المميز والمسجلة طبقًا لقانون ١٤٤ لسنة ٢٠٠٦، إذ تكشف أعمالها خلال هذه الفترة، بأحياء مختلفة بمحافظة القاهرة لرصد التعديات والمخالفات، التى تمت تجاه المبانى المسجلة بهدف إيقاف التعديات والحفاظ على التراث المعمارى والعمرانى؛ وذلك فى إطار تحقيق القيم الجمالية وتحسين الصورة البصرية للعمران المصرى والعمل على إزالة كل التشوهات والتلوث البصرى للحفاظ على الطابع المعمارى والعمرانى.

آلاء حسن

.. و«قصور الثقافة» تطرح 36 كتابًا للعميد وقصصًا مترجمة

قال عمرو البسيونى، رئيس الهيئة العامة لقصور الثقافة، إن الهيئة تعمل، حاليًا، على حصر جميع الكتب، التى ستتاح فى معرض القاهرة الدولى للكتاب فى نسخته الـ٥٥، ورصدها فى قائمة كبيرة سوف تطبع وتوزع باليد لكل مرتادى معرض الكتاب؛ تسهيلًا عليهم فى البحث عن الكتب التى يحتاجونها.

وأضاف: «هذه القائمة سوف تنشر على موقع الهيئة العامة لقصور الثقافة، وستكون متاحة فى جناح الهيئة بمعرض الكتاب، وستشمل عناوين الكتب وليس الأسعار، فالقارئ يعرف تمامًا أن الهيئة العامة لقصور الثقافة تقدم أرخص أسعار فى مصر»، «وسنعيد طبع الكتب التى نفدت لعرضها فى معرض القاهرة الدولى للكتاب، خصوصًا من سلسلة الذخائر».

وأكمل أن خطة قصور الثقافة للعام الجديد ستشهد الكثير من افتتاحات الوزيرة مشاريع خاصة، ومنها قصور ثقافة تضاف للقائمة. من جهته، قال الحسينى عمران، مدير النشر بالهيئة العامة لقصور الثقافة: «طبعنا فى العام الماضى ٢١ كتابًا للعميد طه حسين، طرحت فى معرض القاهرة الدولى للكتاب فى نسخته الماضية، وحققت مبيعات عالية جدًا، وكان هذا محفزًا لأن تطرح قصور الثقافة هذا العام ١٥ عنوانًا أخرى لتصل العناوين المطبوعة لطه حسين ٣٦ كتابًا».

وأضاف: «ستطرح سلسلة آفاق عالمية قصصًا تترجم لأول مرة للعربية، كما سيكون هناك العديد من الروايات المهمة التى تهم القارئ المصرى، وتطرح لأول مرة أيضًا»، وتابع عمران: «سلسلة الذخائر ستطرح أعمالًا جديدة، بالإضافة لطبع العديد من الأعمال القديمة، خاصة أن الذخائر من أكثر السلاسل التى عليها إقبال، وتحقق مبيعات كبيرة كل عام، ونفس الأمر فى سلسلة تحقيق التراث وغيرها من سلاسل الهيئة». واختتم عمران: «هناك مفاجأة أعدتها الهيئة العامة لقصور الثقافة لرواد معرض القاهرة الدولى للكتاب وهى طبع كتب جديدة لأول مرة، عبارة عن دراسات عن عميد الأدب العربى طه حسين».

الحسينى عمران

عمرو البسيونى

إيهاب مصطفى

تحت الطبع

المفكر العالمى أوليفيه روا يكتب عن «أزمة الثقافة.. سياسة الهوية وإمبراطورية المعايير»

من المنتظر أن تشهد المكتبات الغربية بحلول شهر مارس كتابًا جديدًا للمؤلف العالمى أوليفييه روا يحمل عنوان «أزمة الثقافة.. سياسة الهوية وإمبراطورية المعايير»، بترجمة إنجليزية لكل من سينثيا شوتش وتريستا سيلوس. يقدم الكتاب تحليلًا لسياسات الهوية اليوم، بوضع الانقسامات المجتمعية الحالية تحت المجهر. وجاء فى تقديم الكتاب: هل نواجه ثقافة جديدة عالمية ومتصلة بالإنترنت وفردية ومذهبية؟ أم أن مفهومنا الحالى للثقافة يمر بأزمة، حيث تحل الأنظمة المعيارية محل القيم والتمثيلات الضمنية الراسخة اجتماعيًا؟

يستكشف كتاب المفكر الفرنسى تأثير توسيع الحريات السياسية والجنسية الفردية منذ الستينيات على الانكسارات التى نشهدها اليوم.

يرى روا أن ثقافة الشباب فى القرن العشرين فصلت الاحتجاج السياسى التقليدى عن الطبقة أو المنطقة أو العرق، وشكلت هوية مؤقتة للأجيال، تقوم على التنصل بدلًا من وراثة أى ماضٍ أو قيم مشتركة. لقد توسعت ثقافة الشباب وتنوعت بفضل النيوليبرالية والإنترنت، وتتجاوز الآن الأجيال، وهى ثقافة فردية ومصطنعة.

عندما لا تكون هناك ثقافة مشتركة، يصبح كل شىء شفرة لكيفية التحدث والتصرف. إن الإشارة المتزايدة إلى الهوية فى الخطاب السياسى، سواء على اليسار أو اليمين، هى علامة على الفشل فى مواجهة أزمة ثقافية أعمق. ويتم تعريف الهويات الآن، من خلال سمات «العرق، والجنس، والنظام الغذائى» التى تفتت التماسك الاجتماعى، وتخلق ثقافات فرعية تبحث عن مساحات آمنة: جامعات لليسار، ومجتمعات مغلقة وحدود صلبة لليمين. ويرى روا أن خيارنا الوحيد هو استعادة الروابط الاجتماعية على مستوى القاعدة الشعبية أو المواطنة، بدلًا من بناء مجتمعات متقاربة عبر الإنترنت.

قال فيصل ديفجى، أستاذ التاريخ الهندى بجامعة أكسفورد، تعليقًا على الكتاب: هذا هو أفضل تحليل قرأته عن الحروب الثقافية وسياسات الهوية التى تعصف بعصرنا. وأوليفيه روا هو أستاذ بالجامعة الأوروبية فى فلورنسا. صدر له عدد من المؤلفات، منها «الإسلام والعلمانية»، «الجهاد والموت»، و«الجهل المقدس»، و«هل أوروبا مسيحية؟»، و«عولمة الإسلام»، و«أوهام ١١ أيلول». عمل روا مديرًا للأبحاث فى المركز الوطنى الفرنسى للبحث العلمى، ومحاضرًا فى كل من كلية الدراسات المتقدمة فى العلوم الاجتماعية ومعهد الدراسات السياسية فى باريس، كما عمل مستشارًا لوزارة الخارجية الفرنسية، ومستشارًا لمكتب الأمم المتحدة لتنسيق الإغاثة فى أفغانستان.

كتب روا حول موضوع الاضطرابات المدنية عام ٢٠٠٥ فى فرنسا، قائلًا إنه لا ينبغى أن ينظر إليهم على أنهم متأثرون بالدين، كما قال بعض المعلقين. وفى كتابه «الإسلام والعلمانية» يقدم وجهة نظر حول مكانة الإسلام فى المجتمع العلمانى وينظر إلى التجارب المتنوعة للمهاجرين المسلمين فى الغرب. يدرس روا كيف مكّن المسلمون المثقفون المسلمين من العيش فى عالم علمانى مع الحفاظ على هوية المؤمن الحقيقى.

حنان عقيل

«رحلة الخير».. «القومى للترجمة» يصدر «العائلة المقدسة فى مصر»

يستعد المركز القومى للترجمة لإصدار النسخة الإنجليزية لكتاب «رحلة الخير.. العائلة المقدسة فى مصر»، من إعداد الباحث الكاتب أحمد إبراهيم الشريف، وترجمته إلى الإنجليزية الدكتورة رضوى قطيط. تنقيح الترجمة وتحريرها لإنجى محمد عرفة.

لوحة غلاف الكتاب إهداء من الفنان ميخائيل متياس رزق الله، وتصميم الغلاف للفنان أحمد بلال. وقالت دكتورة كرمة سامى، رئيس المركز القومى للترجمة، فى بيان صحفى، إن «الكتاب موجه لكل أفراد الأسرة المصرية فى قالب سردى رقيق يتتبع مسار الرحلة التى بارك بها الله أرض مصر. معرفة جديدة أفتخر بها وبمعزة مصر واختصاصها بهذا الشرف الذى يجب أن يعلمه عن ظهر قلب كل مصرى ويفتخر به».

وتابعت: «رحلة الخير.. رحلة العائلة المقدسة فى مصر، كتاب يروى ملحمة من الملاحم فى تاريخ مصر العظيم، والتى دارت الكثير من الملاحم الإنسانية الكبيرة على أرضها، ومنها رحلة العائلة المقدسة، المحروسة بالعناية الإلهية.

هنا جاءت السيدة مريم العذراء والطفل المقدس ويوسف النجار فرارًا من بطش الملك هيرودس، وطافوا فى ربوع مصر شمالًا وجنوبًا، حيث وجدوا الأمان والحياة المطمئنة. هى رحلة مقدسة حافلة بالمعجزات وكاشفة لعظمة الأرض والناس. بدأت من سيناء وانتهت فى صعيد مصر.. توقفت فى المدن والقرى وسارت على اليابسة، وعبرت النهر وصعدت الصحارى واختبأت فى المغارات. معًا نتتبع الخطى كى نصل مع العائلة المقدسة إلى بر الأمان».

كما كشفت الدكتور كرمة سامى عن إصدار المركز القومى للترجمة أيضًا نسخة صوتية من الكتاب، شارك فيه كل من مروة وهدان ويارا حسونة.

وكان المركز القومى للترجمة قد أطلق خطة للترجمة العكسية، وكانت رواية الكاتب يحيى الطاهر عبدالله «الطوق والإسورة» باكورة هذه الترجمة فى عام ٢٠٢٢. كما ترجمت قصة الأطفال «خيال الحقل» للكاتب عبدالتواب يوسف إلى اللغة الروسية.

يذكر أن مشروع الترجمة العكسية يتخذ مسارًا يتوازى مع المشروع القومى للترجمة، الذى أنشأه الدكتور جابر عصفور فى العام ١٩٩٥، وأطلق عليه المشروع القومى للترجمة عن اللغة العربية، فبجانب إثراء ثقافتنا بما يترجم من اللغات الأجنبية نبدأ نحن فى نقل معارفنا للآخر، ونؤكد حضورنا وفق اختياراتنا نحن لتقويض نظرة الناشر الغربى الاستشراقية لمجتمعاتنا، والذى يفرض بها علينا اختياراته لما يترجم من أعمالنا.

نضال ممدوح

غادة جبارة تسلم المكتبة لأكاديمية الفنون

«أكاديمية الفنون» تتسلم مكتبة شاكر عبدالحميد تنفيذًا لوصيته

تسلمت أكاديمية الفنون، برئاسة الدكتورة غادة جبارة، مكتبة وزير الثقافة الأسبق الدكتور شاكر عبدالحميد من أسرة الأكاديمى المرموق؛ والتى تتضمن العديد من مؤلفاته، والمؤلفات والمراجع والدراسات الأكاديمية التى أشرف عليها، سواء فى مرحلة الماجستير أو الدكتوراه.

زوجة الأكاديمى الراحل ميرفت مرسى، رئيس المركز القومى لثقافة الطفل سابقًا؛ قالت لـ«الدستور»، إن المكتبة بما فيها من كتب فى علم الجمال والفنون التشكيلية وعلم النفس، وأبحاثه التى أشرف عليها فى مرحلتى الماجستير والدكتوراه باللغتين العربية والإنجليزية؛ بالإضافة إلى مؤلفاته الخاصة- تم إهداؤها مؤخرًا لمكتبة أكاديمية الفنون، بالإضافة إلى نظارته الطبية وبعض مقتنياته الشخصية مثل أقلامه، والدروع والتكريمات التى حصل عليها من جامعات داخل وخارج مصر، وشهادات التقدير؛ وذلك بهدف تنفيذ وصيته بإيداع مكتبته فى أكاديمية الفنون لخدمة طلاب الماجستير والدكتوراه والباحثين على نحو عام بعد رحيله.

وأوضحت زوجة وزير الثقافة الأسبق أن أسرة الأكاديمى الراحل احتفظت بعدد من مؤلفاته، وبعض من شهاداته والتكريمات وكتب الفلسفة والفنون التشكيلية وعلم النفس.

وبسؤالها حول أبرز المخطوطات التى تركها الدكتور شاكر عبدالحميد ولم تكتمل، أوضحت أن «هناك أفكارًا لمخطوطات غير مكتملة مثل الكتاب الأخضر، وهو عن إحدى الشخصيات الفنية، لكن لا أتذكر من هو الآن، بالإضافة إلى أنه قام بجمع كل ما نشر فى الصحافة المصرية عن كوفيد ١٩ وما صاحبها من ظواهر مثل الاكتئاب والانتحار على أن يقدمها فى عمل له لكنه لم يكمله، وكذلك كتاب عن الشخصية المصرية فى ظل التطورات التكنولوجية الحادثة لم يكتمل».

وأشارت ميرفت مرسى إلى أن وزارة الثقافة، ممثلة فى جهاز التنسيق الحضارى، وضعت لوحة ضمن مشروعها «عاش هنا» على واجهة منزله فى حدائق القبة.

شاكر عبدالحميد

من بين محتويات المكتبة كتب فى علم الجمال والفنون التشكيلية وعلم النفس

حسام الضمرانى

سامح الأسوانى

نداء الحدائين.. لا تنويحة ولا صقر

يا شمس غيبى ويا سفاين حلى
بلدى بعيدة وخاطرى فى محلى

هكذا نادى الحداء ناقته/ سفينته، يدعوها أن تصل به سريعًا إلى الحِلة/القرية/ مضارب أهله/، فقد استبد به الشوق، وهو على مسافة بعيدة عن بلده، لكنها تشغل عقله طوال الوقت.

هذا النداء سمعته، من خلال ما يعرف عند معظم المهتمين بالفلكور بـ«أسطوانة تبريو»، وهى الأسطوانة التى تحوى مجموعة كبيرة من الأغانى الشعبية التى جمعها العالم الرومانى تبريو إلكسندرو فى ستينيات القرن الماضى، وصنفها تصنيفًا علميًا إلى أغانى العمل والميلاد والزواج والموت، وجمعها من مختلف ربوع مصر، ووثقها فى مذكرة شارحة أصدرتها وزارة الثقافة فى بداية عام ١٩٦٧.

ومن بين ما جمعه العالم الرومانى نداءات لاثنين من حدائى الإبل، من مدينة دراو بأسوان، من بينها البيتان السابقان، وأحدهما صاحب النداء الشهير الذى جاء فى فيلم الهروب للفنان أحمد زكى والمخرج عاطف الطيب، والذى عرف خطأ بـ«تنويحة الصقر» أو «النواح الصعيدى» أو «نواح صائد الصقور».

لا أعرف من الذى اخترع مصطلح «تنويحة»، إذ لم نسمع أن هناك من شدا للصقور فى مصر، أو أن هناك فنًا شعبيًا بهذا الوصف، ليس لدينا سوى «العديد»، أو شعر المراثى الشعبية، وقد انتشرت فى الفترات الماضية تعليقات كثيرة عن هذا النداء، لا يمكن وصفها سوى بالهراء الكامل والساذج، من بينها أن الأغنية/ النداء عن «تسجيل صعيدى مجهول قديم جدًا اسمه غناء صياد الصقور، سجل فى القرن الـ١٩ بواسطة رحالة فرنسى، وفى الستينيات سجلها الباحث الرومانى تبريو، كعمل احترافى فى بروجكت عن الفلكلور فى مصر، لحد ما المخرج عاطف الطيب والموسيقار مودى الإمام جابوه من وزارة الثقافة الفرنسية سنة ١٩٩١ عشان يمستروه ويخلوه ساوند تراك للفيلم».

أعلم أن الفنان مودى الإمام هو من أجرى معالجة موسيقية لنداء الحداء، وقد قرأت تصريحًا منسوبًا إليه فى عدد من المواقع الإخبارية، جاء فيه أن صاحب هذا الغناء بدوى من قبائل الطوارق.

لكن حقيقة الأمر على خلاف هذا تمامًا، فقبائل الطوارق تنتشر فى الصحراء الكبرى من ليبيا حتى المغرب، ولأفرادها لغة مختلفة عن العربية، بينما فى مثالنا هذا نتحدث عن لغة عربية، وإن كانت بلهجة مصرية، جنوبية تحديدًا، كما أن وزارة الثقافة الفرنسية محشورة فى هذا السياق، على نحو غير مفهوم، فى حين أن الجمع الميدانى كان تحت إشراف وزارة الثقافة المصرية، الذى كان على رأسها فى هذا الوقت الدكتور ثروت عكاشة.

يقول الباحث الرومانى فى «مذكرة» شارحه لعمله، صدرت عن وزارة الثقافة بـ«الجمهورية العربية المتحدة»: «هذه المجموعة الإثنولوجية مهداة إلى هواة الموسيقى الشعبية ومحبيها.. تشتمل على ٣٨ مقطوعة جمعت من محصول قيم، وهى تقدم صورة صادقة لموسيقى غنية بالجمال، استوحاها شعب هذه البلاد من طبيعتها، ولا يزال التعرف عليها ضئيلًا».

ومن أجل هذا الجمع الميدانى قطع تبريو «رحلة خلال البلاد المصرية من أدناها إلى أقصاها» استغرقت ٩ أشهر فى عام ١٩٦٧، ولا ينسى تبريو تقديم الشكر للدكتور ثروت عكاشة، نائب رئيس الوزراء ووزير الثقافة وقتها.

أى أن الأغنية مصرية وأصيلة فى موروثنا الشعبى، وتندرج تحت أغانى العمل، فى تقسيم علم الفلكلور، فلا هناك طوارق ولا فرنسا ولا نواح أو تنويحة.

يقول العالم الرومانى عن النداء الذى نحن بصدده: «الأغنية تخاطب جملًا يحمل جرسًا أثناء سيره فى رمل الصحراء، وتذكر اللحظات السعيدة التى سيستقبلون فيها مرة أخرى، عند وصولهم بالأغانى والطبول».

أما كلمات النداء فتقول:

يا بكرتى يا أم الجرس رنانه
فى خوض البحور ولا حيرانه
خشيت البلد نقررت طيرانه
فرحت لمان أريت الأهل وأرونا

يمدح الحادى ناقته ذات الجرس الرنان، والتى تعرف طريقها فى بحور الصحراء، ولا تضل طريقها إلى بلاد صاحبها، ثم يصف فرحة لقاء الأهالى بوصوله إلى بلدته، والذين دقوا الدفوف لاستقباله، ومن سعد حين رأى أهله ورأوه.

عوودى.. يا جملى يا تارك النبى
يا شمس غيبى ويا سفاين حلى.
بلدى بعيد وخاطرى فى محلى.
عووووودى
أنا بمدح المليحى وبمدح قبة خضرا
والمسايك ريحى

«عـــوودى» وهـــو نـداء للتعجيل يسير الناقة، بعد أن أتمم زيارة للنبى، يستحثها على المضى، ويدعو الله أن تصل سفينته إلى أرض الوطن، إذ إن بلده بعيد، لكنه فى باله وخاطره، ويواصل مسيره مادحًا المليح، النبى وقبة مسجده الخضراء، وهو يتنسم رائحة المسك، بعد الزيارة المباركة.

الفنان مودى الإمام هو من أجرى معالجة موسيقية لنداء الحداء وقد قرأت تصريحًا منسوبًا إليه جاء فيه أن صاحب هذا الغناء بدوى من قبائل الطوارق

افتتاح 5 دور للعرض ضمن «سينما الشعب»

كشف الفنان تامر عبدالمنعم، المدير التنفيذى عن خطة سينما الشعب خلال العام الجديد ٢٠٢٤، أنه سيتم افتتاح ٥ دور عرض سينمائية جديدة فى محافظات مصر.

وأضاف «عبدالمنعم»، فى حديثه لـ«الدستور»، أن السينمات المقرر افتتاحها خلال العام ستكون بمحافظات البحر الأحمر وأسوان والبحيرة، على أن يتم تحديد موقع الأخريين قريبًا.

ويبلغ عدد سينمات مشروع «سينما الشعب» التى تم افتتاحها حتى اليوم ٢١ سينما، تتوزع فى ربوع محافظات مصر، وتبلغ قيمة تذكرة أى حفلة من حفلات سينما الشعب ٤٠ جنيهًا، وهو أقل سعر لدخول الأفلام، بسبب المبادرة التى تستهدف تشجيع الأسرة المصرية.

ويعرض فى «سينما الشعب» عدد من الأفلام أبرزها: «أبو نسب»، ويعرض فى كل من سينما مكتبة البحر الأعظم بالجيزة، السادات بالمنوفية، قصر ثقافة روض الفرج بالقاهرة، قصر ثقافة ببا ببنى سويف، وقصر ثقافة دمنهور بالبحيرة، و«شماريخ»، ويعرض فى كل من قصر السينما بجاردن سيتى بالقاهرة، قصر ثقافة الزقازيق بالشرقية، قصر ثقافة القناطر الخيرية بالقليوبية، وقصر ثقافة الأنفوشى بالإسكندرية.

ويعرض فيلم «الحريفة» بكل من سينما قصر ثقافة قنا، سينما هيبس بالخارجة بالوادى الجديد، ومسرح ٢٣ يوليو بالمحلة الكبرى بمحافظة الغربية، قصر ثقافة القناطر الخيرية بالقليوبية، قصر ثقافة الزقازيق بالشرقية، و«الإسكندرانى»، ويعرض بكل من المركز الثقافى بطنطا، قصر ثقافة العريش بشمال سيناء، المركز الثقافى بكفرالشيخ، وقصر ثقافة الأنفوشى بالإسكندرية، و«أنا وابن خالتى» يعرض بسينما قصر ثقافة أسيوط، وتعرض سينما قصر ثقافة الإسماعيلية فيلم «عصابة عظيمة»، وفى سينما قصر ثقافة دمنهور فيلم «ليه تعيشها لوحدك».

تبلغ قيمة تذكرة أى حفلة من حفلات سينما الشعب 40 جنيهًا

ورش مجانية فى تصميم أغلفة الكتب بـ«قطاع الفنون التشكيلية»

يقيم قطاع الفنون التشكيلية، برئاسة الدكتور وليد قانوش مع مستهل العام الجديد ٢٠٢٤، عددًا من الورش المجانية فى تصميم أغلفة الكتب والحكى الرقمى.

ويقيم القطاع ورشة «الحكى الرقمى» مجانًا للفئة العمرية من سن ١٥سنة فما فوق، تبدأ يوم السبت والثلاثاء من كل أسبوع بداية من يوم ١٣ يناير الجارى من الساعة ٣ عصرًا وحتى الساعة ٨ مساءً فى رحاب مركز محمود سعيد للمتاحف بالإسكندرية، ويقوم بالتدريب أحمد عزمى، مشرف إدارة الورش بالمركز، وتستمر الورشة خلال شهرى يناير وفبراير ٢٠٢٤.

فى الوقت نفسه، يقيم القطاع ورشة مجانية بعنوان «أسس تصميم فن الكتاب»؛ وذلك بالتعاون مع الفنانة سوزان التميمى، وذلك ابتداءً من يوم الثلاثاء من كل أسبوع بداية من ١٦ يناير الجارى من الساعة ١٢ إلى الساعة ٢ ظهرًا بمتحف محمد محمود خليل وحرمه.

مِصرُ الشِّعْـرِيَّة

كمصرىٍّ أكتبُ شِعْرًا مِصريًّا مكتُوبًا باللغةِ العربيةِ بلاغةً وأسلوبًا؛ لأنَّك ابنٌ لزمانٍ ومكانٍ مِصريَيْن، وابنٌ لأبوَيْنِ مصريَيْن، وبيئةٍ مصريةٍ مُستقلةٍ مُتفرِّدةٍ رواها النيلُ المُقدَّس بمائِه الأزلى الحزين، ولا تستورد أو تستعير حالَ أحدٍ أو موضُوعَه أو مِزاجَه الفنِّى، لأنه ابنُ عالمٍ ليسَ لك، ولا تنتمى إليه. فالشخصية المِصرية عقيدةٌ ينبغى أن تؤمنَ بها.

أحمدُ الشَّهاوى

هل ظلَمَ المصريون شِعْرَهُم؟

يستطيعُ المرءُ أن يقولَ: نعمْ، ولا.

نعمْ؛ لأنَّ تقديمَ هذا الشِّعْرِ منذُ النصف الثانى من القرن الثالث للهجرة؛ تاريخ ظُهور شِعْر مصرى خاص حتى أيامنا هذه، يتمُّ بشكلٍ غيرِ مُؤسسِيٍّ، لا إعدادَ فيه ولا تنظيمَ، حيثُ لا توجد خطةٌ مدروسةٌ مُنهجة لنشرِ وإبرازِ شُعراء مصر فى القرون الغابرة حتى اللحظة الرَّاهنة.

ولا، لأنَّ هناك أساتذة كبارًا فى الجامعات المِصرية قد درسُوا الحياةَ الشِّعْرية، وشِعْر رُموز هذه الحياة، وللأسف كان ذلك قبل عقُودٍ مضتْ، حيث لم يُعَدْ نشرُ دواوينهم والدراسات الأدبية والنقدية عن حيواتهم وشِعْرهم وعُصُورهم، كما أنَّ أغلبَ هذه الكُتب نُشرت بشكلٍ أكاديمىٍ محدُودِ التوزيع مِصريًا وعربيًا، ولم تُخاطبِ المتلقِّى العام، كما أنَّ أشعارَهم غابت عن المناهج الدراسية، واكتفى واضعُو المناهج بنشرِ نماذجَ لشُعراءَ من العصُور: الجاهلى، الأموى، العباسى،.. ونسُوا تمامًا شُعراء بحجم البهاء زهير «١١٨٦ - ١٢٥٨م/ ٥ من ذى الحجة ٥٨١ - ٤ من ذى القعدة ٦٥٦هـ»، ابن سناء الملك «٥٥٠ - ٦٠٨هـ»، ابن نُباتة المصرى «٦٨٦-٧٦٨هـ/ ١٢٨٧-١٣٦٦م) على سبيل المثال لا الحَصْر، ولم يمنحُوا إفرادًا خاصًا لدراسةِ الشِّعر المصرى.

وقد آن الأوانُ لأن نعيدَ هؤلاءَ الشُّعراء إلى الحياةِ مرةً أخرى، خُصُوصًا أنَّ نصُوصَهُم غائبةٌ، كما أنَّه ينبغى إدراكُ خُصُوصية الشَّاعر المصرى وشِعْره المكتُوب فى بلاد النيل، حيثُ يغيبُ «ذكر الأطلال والرسُوم أو بكاء الديار والدِّمن، ولا نسمعُ عن حديث الأثافى والناقة أو غير ذلك مِمَّا تعوَّدناه من شُعراء البادية»، فالحياة مُستقرةٌ مثل مِصر، ولا ترحلُ من مكانٍ إلى آخر، ولذا اتسمت نصُوصُ الشُّعراء بالوضُوح والبساطة، والبُعد عن التعقيد، حيثُ الحياة لينةٌ ومُترفةٌ، واستخدم الشُّعراءُ ألفاظًا رقيقةً سهلةً ومالوا إلى البُحُور القصيرة التفاعيل، ثم زهدُوا فى القصائد الطويلة بعد ذلك، واستعاضُوا عنها بالمقطَّعات.

وكتبَ الشُّعراءُ صُورَ الحياة التى اعتادُوها، وقد بدا شُعورُهم رقيقًا وحسُّهم دقيقًا، إنه الإحساسُ القادمُ من الرُّوح المِصرية، وهنا أذكِّر بما كتبه ابن سعيد الأندلسى المتوفَّى سنة ٦٧٣هجرية إلى الشَّاعر المصرى ابن النقيب «٧٠٢ - ٧٦٩هـ/ ١٣٠٢ - ١٣٦٨م» يقول:

«أيا ساكنى مصرَ غدا النيلُ جارَكُم
فأكسبَكُمْ تلك الحلاوةَ فى الشِّعرِ
وكان بتلك الأرضِ سحرٌ وما بقَى
سوى أثرٍ يبدُو على النَّظمِ والنَّثرِ»

وفى الشِّعر المصرى سنجد اتجاه الرقَّة والسُّهولة، وهو اتجاهٌ يلائمُ الحياة والبيئة المِصريتين اللتين تتسمان بالسُّهولة وعدم التعقيد، ويمثِّلُ هذا الاتجاه الشِّعْر الذى صدر عن مصريين بمولدهم ونشأتهم لا عن مصريين بإقامتهم، وقلَّ أن يظهرَ فى شعرهم أىُّ لونٍ من ألوان التكلُّف، أو ألوان الزينة اللفظية «فشعرُهُم صادرٌ عن طبعهم، ويجرى على ألسنتهم كأنَّهم يغرفون من بحرٍ، وأكثر شُعراء هذه المدرسة من الغزليين»، وعُرف مذهبُهُم فى العصر الأيوبى بالطريقة الغرامية، ومن أمثلة هذا الاتجاه البهاء زهير وجمال الدين بن مطروح، وغيرهما.

فغَزَلُ البهاءِ زهيرٍ خرج عن صُوَر الغزل التقليدية المعروفة فى الشعر العربى، فلم يبكِ على طللٍ، لكنه يكتب كتابةً تتواءم مع روحه وبيئته المصرية والعوالم التى يعرفها، ومعه كل من ابن النبيه وابن سناء الملك، والمهذب بن الزبير وظافر الحداد. وكان لطبيعة مصر السهلة ونيلها السَّلس أثر كبير فى ذلك، «فعلى نحو ما يمتد الوادى فى مصر سهلًا لا نتوء فيه، كذلك شعره وشعر أصحابه تمتد لغته سهلة دون أى صعوبات».

ولأنَّنى لا أتصورُ أنَّ هناكَ قطيعةً رُوحيةً عند المِصرى بين تراثه المصرى القديم، وبين تراثه بوصفه صار مِصريًا عربيًا بعد فتح مصر، واستخدام لغةٍ جديدةٍ وافدةٍ هى اللغة العربية. فقبل العرب كانت هناك حضارةٌ مُزدهرةٌ فى الفنون والآداب والعلوم والفلك والطب.

ومن هنا نسعى إلى الاهتمام بما أنتجتهُ مِصرُ من شعرٍ مكتُوبٍ خلال ألف عام من الكتابة باللغة العربية، لا تواصلًا مع ما دعا إليه سلامة موسى «٤ من فبراير ١٨٨٧ - ٤ من أغسطس ١٩٥٨ميلادية» ومحمد حسين هيكل «١٣٠٥/ ١٣٧٦ هجرية - ١٨٨٨/ ١٩٥٦ ميلادية» من الدعوة إلى أدبٍ مصرىٍ خاص، ولكنَّنا ندعُو إلى نفضِ تُراب النسيانِ أو التناسى أو التجاهُلِ لمُنجزِ الشِّعر المِصرى خلال ألف عام. فمصر لها طبيعةٌ خاصةٌ وتاريخٌ قديم مُختلف، كما أنَّ وادى النيل يُعدُّ مصدرَ وحىٍ مُغايرٍ عما سواه فى الجزيرة العربية وبلاد الشام. وأذكر هُنا قول طه حسين «١٣٠٦ هجرية/ ١٣٩٣ هجرية/ ١٥ من نوفمبر ١٨٨٩/ ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣ ميلادية» فى كتابه «فى الأدب الجاهلى» الذى صدر سنة ١٩٢٧ ميلادية: «إن الكاتبَ أو الشَّاعرَ أثرٌ من آثارِ الجِنس والبيئةِ والزَّمانِ، فينبغى أن يلتمسَ من هذه المؤثِّرات وينبغى أن يكونَ الغرضُ الصحيحُ من درسِ الأدبِ والبحث عن تاريخه، إنما هو تحقيقُ هذه المؤثِّرات التى أحدثت الكاتب أو الشَّاعر، وأرغمتهُ على أن يصدر ما كتب أو نظم من الآثار».

فهل لم يكُن لدينا دارسُون قادرُون على دراسة ما أنتجته مصرُ من شعرٍ باللغة العربية؟

كان لدينا بالطبع مئات الأساتذة منذ تأسيس الجامعة الأهلية سنة ١٩٠٧ ميلادية، لكنَّهم انشغلوا بدراسة الأدبِ العربى منذُ العصر الجاهلى، مرورًا بالعصرين الأموى والعباسى ثم العصر الأندلسى، لكنَّنا لم ندرس فى الجامعة، ما يمكنُ تسميتُه بالعصر المصرى، أو أدب مصر القديمة مثلًا.

هى محاولةٌ لإعادة نشر ما أُهْمِلَ ونُسِى من شِعْرٍ يدلُّ على الشخصية المصرية التى نبع منها، لأنَّ هناك فُروقًا يمتازُ بها الشِّعْرُ المصرىُّ إذا ما قُورن بشِعْرٍ عربىٍّ خاص موجُودٍ فى أىِّ بلدٍ عربى آخر درس فى المناهج الدراسية الثانوية والجامعية فى مصر.

وعلى الرغم من أنَّ كليةَ الآداب فى الجامعة المصرية قد خصَّصت كُرسيًا لدراسة الأدب المصرى فى العهد الإسلامى، وأنَّ محمد كامل حسين «١٩٠١ - ١٩٧٧ميلادية» له كتابٌ اسمُهُ «الأدب العربى بمصر من الفتح الإسلامى إلى دخول الفاطميين»، وأنَّ أمين الخولى «١٣١٣ هجرية/ ١٣٨٥ هجرية/ ١ من مايو ١٨٩٥/ ٩ من مارس ١٩٦٦ ميلادية»، له كتابٌ أسماه «فى الأدب المصرى»، والدكتور عبداللطيف حمزة «١٩٠٧ - ١٩٧١ ميلادية» له كتابٌ عنوانه «الأدب المصرى.. من قيام الدولة الأيوبية إلى مجىء الحملة الفرنسية»؛ فإنَّ النقَّاد والدارسين لم يواصلوا النهجَ نفسه، ونُسى الشِّعر المصرى وظلَّ طىَّ الإهمال لسنواتٍ طالت.

ولا يمكنُ لشاعرٍ مصرىٍّ حديثٍ أو من أى عصرٍ بعد مصر القديمة كان أسلافه القدماء يعتبرُون الهيروغليفية «كلام الله»، ولا تكونُ لهم خُصوصية، حيث كان الخيال المصرى القديم خصبًا، ويظهر ذلك جليًا فى كثيرٍ من الحكايات الخُرافية. فمثلًا، فى قصة «الملاح التائه» تخيَّل الكاتب وصُول الملَّاح إلى جزيرةٍ صحراوية حيثُ قابل ثعبانًا يتكلم. والكثير من تلك الحكايات السردية إضافةً إلى الأنواع الأدبية الأخرى، التى كانت مكتوبةً فى شكل أبياتٍ شعرية، إذْ إنَّ معظم الشِّعْر المصرى القديم كان مكتُوبًا فى هيئة أبياتٍ من مقطعين اثنين، وأحيانًا من ثلاثة أو أربعة مقاطع. ويمكنُ أن تسميه «الهايكو» المصرى القديم، لمن يحبُّ استيراد الأشكال من الحضارات الأخرى.

ولعلَّنا نرى أن الأدب المصرى القديم، المُتوارث شفاهةً، كان له أثرُهُ الواضحُ على الأدب اليونانى القديم والأدب العربى، فاللغة العربية لم تصبح لغةً رسميةً إلا فى سنة ٧٨ هجرية «٧٠٦ ميلادية»، وكان المصريون قبل الفتح العربى يستخدمون اللغة القبطية، بينما كانت اللغةُ الرسمية فى البلاد هى اليونانية.

كما كان لانتشار فن الغناء بين المصريين أثرُهُ فى تدوينهم لأشكاله المُختلفة بين أغنيات المديح والحُب والترانيم الجنائزية مثل متُون الأهرام، ونصوص التوابيت وكتاب الخروج إلى النهار، وكتاب الطريقين، وصلاة رع وكتاب الآخرة، وأدب الوصايا والتعاليم.

وقد وجدنا فى الأدب المصرى «قصيدة البيت الواحد»، التى صارت موجودة بعد ذلك فى الشعر العربى، وهذه قصيدة مكونة من مقاطع صغيرة، كل واحد بمثابة قصيدة قصيرة تدل على تركيز شديد وكثافة شعرية واضحة:

- لم تحاور قلبك؟
توجه إليها وعانقها.
حقًا وكما أن «آمون» يحيا، فأنا قادم إليك،
ورداءى على ساعدى.
لقد وجدتُ أخى جوار حوض الماء
وقدماه فوق الماء
لقد شاد هيكلًا لمباهج النهار
بل إنه وضع فيه الجعة،
إن صورته على صدرى.

كما عرف الأدب المصرى القديم أنواعًا كثيرةً، منها: حوار الإنسان مع إنسان آخر، أو حوار الإنسان مع روحه ويعد من أدب الحكمة، أو حوار أجزاء جسم الإنسان مع بعضها، أو حوار الحيوان مع حيوان آخر والطير مع طير آخر، أو حوار النباتات مع بعضها، أو حوار الآلهة فيما بينهما.

> لا أتصورُ أنَّ هناكَ قطيعةً رُوحيةً عند المِصرى بين تراثه المصرى القديم وبين تراثه بوصفه صار مِصريًّا عربيًّا بعد فتح مصر

> الأدب المصرى القديم المُتوارث شفاهةً كان له أثرُهُ الواضحُ على الأدب اليونانى القديم والأدب العربى

> عاشت مصر مستقلة عن دول الخلافة نحو سبعة قرون لكنها فى تلك القرون لم تتمكن من تسويق شعرائها وتقديمهم عربيًّا

ولا يظن أحدٌ أنَّ فى كلامى إقليميةً أو عصبيةً، لكنه البحثُ العلمى الذى كان ينبغى أن يتبع قبل قرنٍ من الزمان.

فمصرية مصر شعريًا أمرٌ مهم وحقيقىٌّ، وليس فى هذا تجنٍّ على عُروبة مصر وإسلاميتها، فلا نكرانَ ولا هدرَ للإرث العربى ولا الإرث المصرى القديم، لأنَّه من المُستحيل أن تكونَ هناك وحدةٌ أدبيةٌ بين بلدان العرب، إذْ إنَّ كلَّ شاعرٍ هو ابنٌ لمكانه وبيئته.

وقد حاولتُ اختيارَ نصوصٍ شعريةٍ مما تجمَّع لدىَّ، خُصُوصًا الشُّعراء الذين عاشُوا فى القرن الثالث الهجرى فى مصر وما بعده بقرونٍ أربعة، حيثُ محا العهد الأيوبى «نسبةً إلى صلاح الدين الأيوبى» الكثير مِمَّا كُتب فى زمن الدولة الفاطمية، حيث أحرق تراثَ الفاطميين ودمَّر وسُرقت مكتباتُ القصور وبيعت الكُتبُ النفيسةُ وأهديتْ، ولولا أن بعضَ الكُتب قد خرجت من مِصر وقتها إلى أقطارٍ أخرى ما وصل إلينا منها شىء خُصُوصًا دواوين الشِّعر المصرى، فمثلًا حسين نصار لم يجد نسخةً من الديوان الذى حقَّقه للشَّاعر ظافر الحداد فى مصر، بل وجَدَ نسخًا فى المغرب والعراق وألمانيا، ولم يجد زكى المحاسنى الذى حقق ديوان الشَّاعر الشريف العقيلى أثرًا للشَّاعر فى مصر، فاعتمد على نسخة مكتبة الإسكوريال بمدريد.

كما أنَّ صلاح الدين الأيوبى كان قد أمر بالتخلُّص من الخزائن العظيمة التى حوت تلك الآثار «وكانت أعظم خزائنهم خزانة القصر الفاطمى، كان لها فى القصر أربعون خزانة، من جملتها واحدة فيها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة، وقد اختلف المؤرخون فى عدد ما بالخزائن من الكتب»، ولكن لم يمنع ذلك صلاح الدين من التخلُّص من تلك الكتب، وبهذا ضاعت آثار حقبة كاملة من التاريخ العلمى والأدبى الخاص بمصر.

كما نرى عماد الكاتب الأصفهانى «١١٢٥ -١٢٠١ ميلادية/ ٥١٩ - ٥٩٧ هجرية» يحطُّ من شأنِ شاعرٍ مصرىٍّ هو ابن الضيف «توفى نحو ١١٢٥ ميلادية - ٥٢٠ هجرية»، لأنَّهُ فاطمىٌّ شيعىٌّ «... وقَعَ إلىَّ ديوانه بخطِّه، وكنتُ عازمًا لفرط غُلوه على حطِّه، لأنَّهُ أساءَ شرعًا وإنْ أحسنَ شعرًا، بل أظهر كُفرًا، فلم يستحق لإساءته كفرًا ولا غُفرًا...» كانَ الأصفهانى لا يعرفُ مقولة عبدالقاهر الجرجانى «٤٠٠ - ٤٧١هـ/ ١٠٠٩- ١٠٧٨م» الشهيرة «.. فلو كانت الديانةُ عارًا على الشِّعْر، وكان سوءُ الاعتقاد سببًا لتأخُّر الشَّاعر لوجب أن يُمْحَى اسم أبى نواس من الدواوين، ويُحذفَ ذِكرُه إذا عدت الطبقات، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ومن تشهدُ عليه الأمَّة بالكُفر ولوجَب أن يكون كعبُ بن زُهير وابن الزبعرى وأضرابهما ممَّن تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاب من أصحابه بكمَا خرسًا وبكاء- بكسر الباء- (أى مفحمين)، ولكنَّ الأمرين متباينان، والدِّين بمعزلٍ عن الشِّعْر».

إنَّ مصر التى ظلت ولايةً تابعةً لدولة الخلافة فى دمشق «الدولة الأموية»، بغداد «الدولة العباسية»، إستانبول «الدولة العثمانية»، ومن قبل كل ذلك كانت تابعة لعُمر بن الخطاب فى المدينة، حيث طغى المركز على الأطراف أو لنقُل المراكز الإسلامية الأخرى ومصر فى القلب منها، غير أنه منذ منتصف القرن الثالث الهجرى حكمت دولٌ جديدة مصر حُكمًا مستقلًا عن الخلافة، مثل الدولة الطولونية فالأخشيدية، ثم الفاطمية فالأيوبية، فالمماليك البحرية، فالمماليك البرجية، ثم الدولة العثمانية التى أضاعت استقلال مصر.

لقد عاشت مصر مستقلة عن دول الخلافة نحو سبعة قرون، لكنها فى تلك القرون لم تتمكن من تسويق شعرائها وتقديمهم عربيًا.

فالحسن بن إبراهيم بن زولاق «٩١٩- ٩٩٧م» يقول عن محمد بن موسى الملقب بسيبويه المصرى: «كان عندنا بمصر رجلٌ يُعرف بسيبويه، فوق هؤلاء الذين ذكرهم المدائنى وابن أبى الدنيا وابن دحيم، لو كان بالعراق لجُمِعَ كلامُه، ونُقِلَتْ ألفاظُه»، وهو يقصد محمد بن موسى الملقب بسيبويه المصرى، الذى لا نعرفُ له ذكرًا إلا أنه شارعٌ فى مدينة نصر بالقاهرة.

يذكر أحمد أمين فى كتابه «فيض الخاطر»: «شخصية غريبة كانت فى مصر فى عهد الدولة الإخشيدية قبل بناء القاهرة، وكان يدوى اسمها فى الفسطاط والقطائع وما بينهما قبيل مجىء الفاطميين؛ كانت شخصية تُرهِب وتُحَب، ويضحك منها، ويُعتبر بها، إن شئت علمًا فعالم، أو شعرًا فشاعر، أو أدبًا فأديب، أو وعظًا فواعظ، أو فكاهة ففكه، أو نقدًا مقذعًا فناقد، أو جنونًا فمجنون، وُلد بمصر سنة ٢٨٤هـ، وعاش أربعًا وسبعين سنة، وأتقن النحو حتى لُقب بسيبويه».

كشف الشاعر الكبير أحمد الشهاوى، فى الندوة التى استضافته فيها جريدة الدستور بمقرها، أنه تم تكليفه برئاسة تحرير سلسلة كتب عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بعنوان «ديوان الشعر المصرى»؛ تبرز جماليات وتاريخ الشعر المصرى القديم على مدار ألف سنة، وهى فكرة للدكتور أحمد بهى الدين، رئيس مجلس إدارة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ووافق على تسميتها بهذا الاسم الذى قدمه له، وسيشارك فيه عدد كبير من الشعراء والأكاديميين المتخصِّصين فى الشعر المصرى بمختلف عصوره ومدارسه، كما تطرق الشهاوى للعديد من الأمور نقرأها فى السطور التالية.

إيهاب مصطفى - حسام الضمرانى

أحمد الشهاوى يكشف كواليس سلسلة «ديوان الشِّعْر المصرى» فى ندوة الدستور

المشروع يتوقَّف عند محمود حسن إسماعيل.. ويقدم وجه مصر المنسى

■ ما تفاصيل مشروع ديوان الشعر المصرى؟

– فى الحقيقة قدمت لأحمد بهى الدين، رئيس هيئة الكتاب، مقترحًا لبيان المشروع وأسميته «مصر الشعرية» فى ألفىْ كلمة، على أن يتوقف المشروع عند محمود حسن إسماعيل وما بعده من أسماء لا تحتاج إلى هذا المشروع، نظرًا لأن كتبها موجودة ومتاحة فى المكتبات وطبعت أكثر من مرة مصريًا وعربيًا، لكن هناك أسماء كثيرة أُهملت ونُسيت وتعاقب عليها التراب ونسيها الأكاديميون، وأيضًا كتبها غير موجودة بالمرة لا فى دار المعارف، التى أصدرت عددًا من الدواوين الشعرية لهؤلاء، ولا فى الهيئة المصرية العامة للكتاب، وبالتالى لم تقم دار نشر خاصة بنشر الشعر؛ لأن المصيبة الأعظم أن أغلب دور النشر المصرية لا تنشر شعرًا على الإطلاق، وهناك جهتان فقط تنشران الشعر، هما الهيئة المصرية العامة للكتاب والهيئة العامة لقصور الثقافة فقط، أما دور النشر الصغيرة فهى تنشر من خمسين إلى مئة وخمسين نسخة برقم مبالغ فيه لا يقل عن سبعة آلاف جنيه، فأنت عندما تطبع ديوانًا توزعه على أهلك فقط، وأنا هنا لا أعتبر الديوان قد صدر.

هذا المشروع يعتبر من أهم المشروعات الثقافية التى تقدم وجه مصر المختفى أو المقتول؛ الذى قُتل عمدًا بأيدى الأساتذة الباحثين والدراسين والشعراء أيضًا.

■ قدمت المشروع وأشرفت عليه رغم أنك لا تنشر فى هيئة الكتاب.

– الهيئة نشر لى فيها كتابان فقط سنة ١٩٩١ و١٩٩٤، ومنذ ذلك التاريخ وأنا أنشر كل كلمة له فى الدار المصرية اللبنانية؛ أنا اخُترت من قِبل مجلس إدارة الهيئة المصرية العامة للكتاب، لأداء مهمة ثقافية لخدمة الشعر المصرى، ولك أن تعلم أننى خلال مسيرتى سمعت من يتهم مصر والمصريين بأنهم ليسوا أهل شعر بل أهل رواية، أو شعر عامية مصرية فقط، وقد خضت معركة طويلة على صفحات «أخبار الأدب» مع الشاعر الفلسطينى سميح القاسم عندما قال ذلك.

■ هل كان هذا رأى سميح القاسم وحده أم هو توجه عربى عام؟

– «القاسم» نشر مقالًا قال فيه إن المصريين ليسوا أهل شعر، وهو الرأى الذى يتبناه كثيرون باعتبار أننا أمة فتحها العرب، وأن اللغة العربية فى مصر لم تصبح لغة رسمية إلا سنة ٧٨ هجرية «٧٠٦ ميلادية»، وأنه قبل ذلك كنا نتحدث اللغة القبطية؛ مؤكدًا أنه ورغم ذلك كان هناك أدب وشعر وحضارة وثقافة، لكن المشكلة أن العرب والأكاديميين المصريين يقولون إن العصور الفاطمية والأيوبية والمملوكية كانت عصور انحطاط وتخلف وضعف وجمود، وهذا غير صحيح، وهو كلام مرسل، وأرجو أن يطلع هؤلاء على الكتب الستة الأولى التى ستصدر مع افتتاح معرض القاهرة الدولى للكتاب، وهى للشعراء: «البهاء زهير، ابن سناء المُلك، ابن النبيه، ابن الكيزانى، ابن نُباتة المصرى، ابن قلاقس».

وعندما نذهب إلى ابن خلدون، الذى عاش فى هذا البلد ثلاثة عقود، وقال عن هذه العقود وهؤلاء الشعراء الذين ظهروا فى مصر «ولا أوفر اليوم فى الحضارة من مصر فهى أم العالم وإيوان الإسلام وينبوع العلم»، وهو رجل ليس مصريًا وعاش فيها وتقلد فيها بعض المناصب، ورغم ذلك قال هذا الكلام.

■ ماذا عن جامعات مصر ولماذا لم تتبن وسيلة للرد على كل هذا؟

– للأسف الجامعة المصرية ليس فيها مقعد لتدريس الأدب المصرى، وهناك محاولات حثيثة للبعض؛ وهو ما ذكرته فى بيان السلسلة أن هناك محاولات لمحمد حسين كامل، وشوقى ضيف، وعبداللطيف حمزة وسواهم، قد كتبوا كتبًا فى الأدب المصرى، وهى قليلة ومحدودة ولا يعاد طبعها، وأنه لا توجد دراسات أكاديمية فى الجامعات عن هؤلاء الشعراء، وللأسف أغلب الدراسات التى اعتمد عليها ظهرت خارج مصر، والكتب التى طبعت فى دار المعارف قبل خمسين أو ستين سنة لم يُعد طبعها مرة أخرى، وأغلب هؤلاء الشعراء ضاعت مخطوطاتهم؛ فقد أراد أحد الأكاديميين المصريين، هو الدكتور حسين نصَّار، الحصول عن مخطوط لأحد هؤلاء الشعراء فذهب إلى مكتبة الاسكوريال فى مدريد، لأن الذى حدث فى العصر الفاطمى والأيوبى أن صلاح الدين الأيوبى- الذى أمر بقتل السهرودى- قد محا أغلب ما أنتجه العصر الفاطمى، وباع المكتبات، وأحرق منها الكثير، وهو ما أفقد شعرنا المصرى الكثير من المخطوطات.

على سبيل المثال عندما ننظر إلى الشاعر ابن قلاقس الإسكندرى، الذى كان يعمل تاجرًا، وكان يعيش فى البحر الأحمر، وبالنظر إلى أبى الحسن الشاذلى، الذى مات بعده بمئة عام ودُفن هناك إلى جوار ابن قلاقس نفسه «صحراء عيذاب»، نجد أن الناس تذهب إلى مقام الشاذلى ونسيت ابن قلاقس الذى كان قادمًا من اليمن وغرق المركب، وكان معه شعره مخطوطًا؛ فغرق شعره؛ ودوَّن القليل من الذاكرة، وما أقصده أن هناك شعرًا كثيرًا لشعرائنا قد ضاع، وهؤلاء الشعراء لم يكونوا مجهولين فى زمانهم بل مشاهير، منهم من كان أميرًا، أو وزيرًا، ومنهم من كان يسمَّى بأمير شعراء المشرق، وهو ما يعنى أن الإمارة القديمة كانت موجودة من قبل أمير الشعراء أحمد شوقى، كما أن أغلب الدراسات التى كُتبت عن هؤلاء الشعراء لباحثين وأكاديميين غير مصريين مع الأسماء التى ذكرتها من قبل، ومن أبرزهم الدكتور حسين نصار الذى اهتم بالشعر فى مصر، وأن أغلب الأساتذة بجامعة الإسكندرية اهتموا بالأدب المصرى القديم أكثر من أساتذة جامعة القاهرة، وهو ما يعد أمرًا غريبًا، بل إن «منشأة المعارف» بالإسكندرية كانت تطبع كتبًا لهم تدرَّس فى الجامعات ليست موجودة فى القاهرة، وكان على سبيل المثال ابن قلاقس الذى كان يعيش فى صقلية، حيث كان جوَّالًا توجد كتبٌ عنه فى صقلية.

■ هل هؤلاء الشعراء مجهولون تمامًا.. ومن الذى قدمهم قبل ذلك؟

– ليسوا مجهُولين بالطبع بل إن هناك بعض بصيص الأمل الذى جاء من بدايات القرن العشرين على يد الموسيقى الشيخ أبوالعلا محمد، الذى أسهم فى تقديم ابن نُباتة المصرى، وقدمه لنا من خلال أعماله التى غنَّاها صباح فخرى ونور الهدى ومنيرة المهدية والنقشبندى، وكذلك قدمت أم كلثوم من خلال أبوالعلا محمد بعض أعمال من ألحانه لابن نُباتة المصرى، وابن سناء المُلك قدمت أعماله الفنانة فيروز أيضًا، وكذلك من قدم مختارات لشعره قبل مئة عام الشاعر خليل مطران، ولحَّن له رياض السنباطى قصيدةَ قدمتها سعاد محمد، وأن أهل الموسيقى فى مصر وسوريا ولبنان هم من أعادوا تقديم أعمال هؤلاء الشعراء، وكان أغلبهم يلقَّب بالمصرى مثل البهاء زهير المصرى، وابن نباتة المصرى، وابن النبيه المصرى، وابن قلاقس السكندرى، بالإضافة إلى أنهم شعراء غزل بامتياز؛ لذا تم غناء قصائدهم، ورغم ذلك هو بمثابة مأزق فإذا كان لديك هذا الإرث فهو منسى، والفكرة أن كتبهم ستكون متاحة، وأدعو إلى تدريسها فى المدارس، وأن يكون فى الجامعة كرسى للأدب المصرى وفى دراسات الماجستير والدكتوراه، وهو ما تهدف إليه السلسلة لإبراز هُويتنا الخاصة؛ فحضور الروح المصرية موجود عند كل هؤلاء، إذْ هم خيرُ ممثل للحضارة المصرية خلال الألف سنة الأخيرة.

■ ماذا عن المناهج التعليمية ولماذا لم تتضمن مثل هؤلاء؟

– واضعو المناهج التعليمية كان عليهم دور فى أن أدرس وأنا طالب فى المرحلة الإعدادية أو الثانوية هؤلاء، فلماذا تجاهلوهم ودرَّسوا لنا شعراء العصور: الجاهلى والأموى والعباسى فقط، رغم أنهم كانوا فى سياق العصر العباسى؟

بصفتك عضوًا بالهيئة الاستشارية.. هل هناك ترتيبات جديدة سيشهدها معرض الكتاب؟

معرض الكتاب هذا العام سيشهد شيئًا جديدًا، فلكون عدد من الشعراء يتمتع بأهمية شعرية على مستوى العالم فقد خصص المعرض ساعة ونصف الساعة يتحدث فيها كل شاعر ما بين القراءات الشعرية والمناقشات المفتوحة مع الجمهور، وهى أول مرة تحدث أن يأتى شاعر كبير مثل «ريشما راميش» الهندية، و«أمينور رحمان» بنجلاديش، و«توبياس بوركهارت» من ألمانيا، و«كلاوديو بوتساتى» من إيطاليا، وشاعر من كبار الصين قدمه أدونيس وترجمه محسن فرجانى، ومن الشُّعراء العرب سيأتى شوقى عبدالأمير، ومن الشعراء المصريين محمد سليمان، وأيضًا «خوان أرماندو» من المكسيك، والشاعر «كارلوس أجواساكو» من كولومبيا والذى حصل على واحدة من أكبر جوائز الشعر فى أمريكا العام الماضى، وهناك ندوتان مع هؤلاء الشُّعراء وسواهم من الذين سيكونون مشاركين فى المعرض، والندوتان مفتوحتان سيتناقشون فيهما خلال ثلاث ساعات، وسيكون النقاش حول قضايا الشعر فى العالم، ولأول مرة فى معرض الكتاب سيمنح كل شاعر مصرى أو عربى أو أجنبى شهادة من الهيئة المصرية العامة للكتاب تحمل اسم مصر.

الشاعر أحمد الشهاوى فى ندوة «الدستور»

الشعر المصرى متدفق مثلما يتدفق النيل ببساطته، لذا ما أود أن أؤكده أننى حذفت من أعمالهم ما يتعلق بالمديح، فأنا كشاعر لست من أنصاره، لقد كانت مصر مستقلة طوال سبعمائة عام، وهى فترة كافية لأن تُدرَّس شعرك فى هذه القرون السبعة، خاصة أننا أبناء الثقافة المصرية القديمة، وتلعب البيئة المصرية دورًا أساسيًا فى هذا الشعر.

وهناك عشرات الكتب التى صدرت فى الولايات المتحدة الأمريكية والغرب عن الشعر المصرى القديم، وللأسف لم تنقل هذه النصوص- نصوصنا- إلى العربية بعد، رغم أن أسلافنا السابقين قد تأثر بهم آخرون فى اللغات الإنجليزية والألمانية والفرنسية.

شعرنا غير موجود إلا فى ترجمات قليلة محدودة، فشعراء مثل أحمد عبدالمعطى حجازى وصلاح عبدالصبور موجودون فى نسخ قليلة وأعمال أكاديمية بالخارج، رغم أن لدينا شعرًا مهمًا فى الماضى والحاضر، ولكن كيف تقدمه، وما أود لفت الانتباه إليه أنه سيتم تقديم أمسيات شعرية فى معرض القاهرة الدولى للكتاب لعدد كبير من الشعراء الشباب.

وأكد أننا تأخرنا فى تقديم شعرنا المصرى القديم، بعد أن عرفنا اللغة المصرية القديمة، ومع ذلك تأخرنا كثيرًا، فأين أساتذة الآثار بجامعاتنا المصرية، أو أساتذة الآداب واللغات الأجنبية فى جامعاتنا، وكذلك المركز القومى للترجمة، أو المجلس الأعلى للثقافة، وما أقوم به من خلال هذه السلسلة هو محاولات فردية؛ لذا أشكر الأستاذ الدكتور أحمد بهى الدين الذى مكننى من أقوم بدورى إزاء تاريخى الشعرى فى مصر.

■ لماذا يقال إن أدونيس هو من اكتشف النفرى؟

– مصر ظلت تقرأ «المواقف والمخاطبات» للنفرى لمدة ثلاثين عامًا منذ نشرها فى القاهرة عام ١٩٣٥، وجاء أدونيس عام ١٩٦٥ ووجدها مصادفة، وكتب عن الكتاب، ليقال بعدها إنه من كشفها للشعراء والكتَّاب، ولكن دعنى أقل لك مثلًا إن صلاح عبدالصبور بمسرحيته «مأساة الحلاج» كان أول من لفت الأنظار إلى أهمية توظيف التصوف واستلهامه فى الشعر العربى، ولو رجعت إلى كتابى «سلاطين الوجد.. دولة الحب الصوفى» فستجد فصلًا كاملًا عن النفرى.

ويضيف: «كما دعنى أقل إن أكثر من اهتم بالبهاء زهير كان جمال الغيطانى، وكان ينشر له أبياتًا شعرية فى صفحة «أخبار الأدب» بجريدة الأخبار كل يوم أربعاء، قبل أن يؤسِّس جريدة «أخبار الأدب» ويترأس تحريرها، وأظن أن الغيطانى كان يحلم بإصدار مختارات للبهاء زهير، وهذا ما فعلته للغيطانى.

■ هل هناك شعراء آخرون ستقدمهم؟

– نعم.. من ضمن من سأقدمهم عمر بن الفارض، وهو بالنسبة لى أكمل وأتم شاعر أنجبته مصر، وأيضًا لم يصل إلينا شعره كاملًا، ولكن هناك صديقى الأب الإيطالى البروفيسور جوزيبى سكاتولين الذى قد اكتشف نصوصًا جديدة عثر عليها فى إسطنبول وصدرت ملحقة فى ديوان ابن الفارض عن الهيئة العامة لقصور الثقافة فى طبعة فخمة، وله كتب أيضًا فى الهيئة المصرية العامة للكتاب، وللعلم هو يكتب بست لغات من بينها العربية.

وهناك البوصيرى، والحقيقة أننا لدينا معرفة مغلوطة عن أن البوصيرى هو فقط صاحب قصيدة البردة؛ ولكنه شاعر له الكثير من الشعر.

وبالمناسبة أول من نهَج نهج البوصيرى هو الشاعر محمود سامى البارودى قبل أحمد شوقى بتسع سنوات، وبردة البارودى موجودة؛ لكنه حين عاد من المنفى كان قد كُفَّ بصره ولزم بيته، بينما أحمد شوقى كان مقربًا من الحكم الملكى فى مصر، فكانت طباعة نهج البردة لشوقى فخمة، وطباعة البارودى لم تشتهر، وفى أحد البرامج الوثائقية التى استضافتنى عرضت نسختين نادرتين لكل من بردة البارودى وبردة شوقى.

وفى بحثى عن الشعراء وجدت أن هناك أسماء لا يعرفها أحد مثل خليل شيبوب الذى قدم له أحمد شوقى.

■ هذا مشروع عظيم لكن ماذا لو توقف دون استكماله؟

– لو تعثرت سلسلة «ديوان الشعر المصرى» سأصدرها على نفقتى الخاصة، ولكن ينبغى أن تقدم بشكل جيد، الأمر الآخر أن الشِّعر مهما حدث سيظل موجودًا ما بقى الإنسان؛ لأننى لا أتخيل أن يقدر رجل أو امرأة أن يعيش بلا شعر، الشعر يغيِّر الروح، ويبرز الإنسانية.

لكنى أؤكد أن هذه السلسلة ليست ردًا على أحد؛ لأننى كمصرى لا أشعر بالنقص، لكننى أقدم هؤلاء لأنه كان ينبغى أن يقدمهم المصريون قبل مائة عام، وهناك تقصير حقيقى فى حقهم، هذا تاريخ ينبغى أن يُعرف.

أما عن المسألة البيعية للسلسلة فهذا أمر لا يشغلنى، لأننى أعرف أن الشِّعر يبيع بدليل أن بعض أعمالى الشعرية العديد بيع منها ٨٠ ألف نسخة، ومنها ما باع ٤٠ ألف نسخة، هذا يعنى أن الشِّعر موجود، وأعرف تمامًا أنك لو قدمت لشىء تقديمًا حقيقيًا فإنه سيصل إلى الناس، ولو تنازلت عن جزء من مكاسبك سيصل، فبدلًا من أن يباع بمائة جنيه يباع بخمسين مثلًا، هذا الأمر لا ينطبق على مصر فقط، ولكن هناك أزمة شعر فى العالم، هناك الشاعر الأمريكى بيلى كولينز الشهير لديه ديوان باع مليون نسخة، والمدهش أنه بدأ نشر الشعر وهو فى الأربعينيات من عمره، ومنذ ذلك الحين، أصبح واحدًا من أكثر الشعراء الأمريكيين شعبية، وأصبحت دواوينه من أكثر الكتب مبيعًا داخل أمريكا والعالم الناطق بالإنجليزية. حصل على لقب أمير الشعراء الأمريكيين ما بين عامى ٢٠٠١ و٢٠٠٣، وهو لقب يُطلق على من تختاره مكتبة الكونجرس الأمريكية مستشارًا شعريًا لها.

هل الشِّعر يبيع؟ نعم يبيع، ولكن إذا نشرت «نيويورك تايمز» مقالًا عن «سين من الشعراء» فهناك عشرة آلاف نسخة ستنفد على الفور، وحين نشرت «الجارديان» البريطانية عنى جاءنى صحفيون من لندن لإجراء حوارات، وإذا كتبت كتابة جيدة ولا أريد الحديث عن نفسى ولكن مازلت أقول إن هذا البلد به شعراء مهمون، ولكن كأننا نخجل من تقديمهم، أو لا نقدمهم بشكل جيد، حتى أنهم صاروا يعزفون عن الظهور، وجربت ذلك فى الأمسيات الشعرية للمعرض، حتى أننى اتصلت بشعراء لدعوتهم لمعرض القاهرة الدولى للكتاب فاعتذروا؛ لأنهم قالوا إن أحدًا لا يدعوهم من سنوات، مثلًا الشاعر محمد سليمان واحد من أهم الشعراء فى مصر والعالم العربى، وهناك أسماء مهمة، فلو أن كتبًا ظهرت بشكل جيد، وقرر بعضها فى المدارس أو التفت إليها أحدهم أو وزعت فى السفارات والهيئات فستنجح، هناك أشياء مهمة.

■ دعوت عددًا من الشعراء لمعرض الكتاب.. ما التفاصيل؟

– استطعت أن أدعو عددًا مهمًا من كبار شعراء العالم، شعراء الصف الأول فى بنجلاديش والهند والأرجنتين وألمانيا وكولومبيا والصين وإسبانيا والمكسيك والأرجنتين وإيطاليا والدنمارك وسويسرا، وهؤلاء أتوا على نفقتهم الخاصة من أجل مصر، وهم شعراء حصلوا على جوائز كبيرة، ولهم مكانة خاصة فى بلدانهم.

لكن الأمر العجيب هو أن مصر ليس بها مهرجان شعرى منتظم سنويًا، أو أكثر من مهرجان، كما هو موجود فى العالم، فهناك دول صغيرة تنظم مهرجانات دولية، وإلى الآن لم يفكر أحدهم فى مهرجان شعرى دولى يقام على أرض مصر، وحين يتم سؤالى فى الخارج أقول لهم: للأسف ليس لدينا مهرجان شعرى فى مصر، وأنا أعتبر وجود هذا العدد الكبير من الشعراء فى معرض القاهرة الدولى للكتاب مهرجانًا دوليًا.

المصيبة الأعظم أن أغلب دور النشر المصرية لا تنشر شعرًا على الإطلاق

لو تعثرت سلسلة «ديوان الشعر المصرى» سأصدرها على نفقتى الخاصة

هل تقبل أن تقرأ رواية أو قصة كتبها لك الذكاء الاصطناعى؟.. ربما تندهش من هذا السؤال؛ لكن الإجابة لم لا!.. هذا ما بدأ فيه بعض الكتاب من الشباب بالفعل؛ ويكفى أن أقول لك عزيزى القارئ إن العام المنتهى منذ أيام صدر فى السوق المصرية فقط روايتان كتبتا بواسطة تقنية من تقنيات الذكاء الاصطناعى؛ خاصة تقنية التوليد الآلى للمحتوى عبر شات «جى بى تى GPTChat»؛ الأولى للكاتب الشاب مهندس محمد عبدالله حمودة بعنوان «ماذا لو أخطأ شامبليون»، والثانية بعنوان «خيانة فى المغرب» للكاتب الشاب أحمد لطفى؛ وهاتان الروايتان لقيتا حالة من الاحتفاء من قبل الناشرين والقراء معًا؛ للدرجة التى دفعت بسرعة نشرهما ودفعهما للقراء.. فى هذا اللقاء تسلط صفحة «ثقافة- تك»،التى تنتجها «الدستور» للقراء الرقميين من المراهقين والشباب- على أحد منتجى الأدب الذى كتب بواسطته كمبدع وتقنيات الذكاء الاصطناعى الكاتب أحمد لطفى مؤلف رواية «خيانة فى المغرب».

حسام الضمرانى

محرر رواية «خيانة فى المغرب»: شات «جى بى تى» يكتب القصة شبه كاملة لكنه لا يرقى لكاتب محترف

■ بداية؛ فى شهر يوليو الماضى أعلن الكاتب محمد عبدالله حمودة عن الدفع بروايته الأولى المكتوبة بتقنيات الذكاء الاصطناعى بعنوان «ماذا لو أخطأ شامبليون» قبل إعلان صدور روايتك «خيانة فى المغرب».. هل يعد ذلك سببا وراء فكرة إنتاج روايتك؟

– أنا لم أتشرف بمعرفة الأستاذ محمد قبل البوست الذى اتهمنى فيه بسرقة الفكرة. واستخدامى الذكاء الصناعى بصورة عامة غير جديد. فمثلًا قبل ظهور كتابى الأول «الوحل والنجوم» نشرت عدة لوحات معدة بالذكاء الصناعى journey mid تعبر عن بعض قصص المجموعة، ولاقت رواجًا كبيرًا حينها، وكان ذلك فى أغسطس ٢٠٢٢. بل إن أصدقائى حين يريدون معلومة خاصة بالذكاء الصناعى كانوا يأتون لى. وكتبت عنه مقال أو اثنين فى ٢٠٢٠ وشاركت فى عدة مشاريع على منصة APPEN وOneforma خاصة بتطوير بعض مشاريع الذكاء الصناعى فى ما بين ٢٠١٩إلى ٢٠٢١.

وقد وضحت للأستاذ محمد شخصيًا، بالدليل الواضح أن النسخة الأولى من الرواية قد انتهت منها قبل إعلانه. لكن الحظ السيء جعل إعلانى بعد إعلانه بيوم واحد فقط وهذا مريب. وأنا لا ألوم من يشكك، لكنى ببساطة أطالبه بالتحقق، وإثبات ذلك سهل لوجود عدة أشخاص قرأوا الرواية كاملة قبل إعلانى عنها أصلًا. وعندى بدل الدليل عشرة، سواء كان النص أو العنوان أو الغلاف. بل فكرة كتابة رواية بالذكاء الصناعى موجودة عالميًا منذ عام ٢٠١٨. لكنى أقدر إحساس الأستاذ محمد، بفقده فرصة أن يكون الأول، وأنا لا أهتم بأن أكون الأول، وخضت التجربة من أجل التجربة فى ذاتها، ولم أهدف للأول ولا الأخير. حتى تعجبت حين عرض علىّ الناشر الأستاذ أيمن حويرة بعدما أعلنت على فيسبوك أن ننشر الرواية مع «كتوبيا»، وكان هذا هو التواصل الثانى بينى وبين الأستاذ أيمن. كان بيننا تواصل وحيد يهنئنى فيه على ترشيحى للقائمة القصيرة بجائزة الشيخ زايد ولم نتواصل بعدها. لكن الأستاذ محمد صور الأمر كمؤامرة ولم يكن كذلك، لكنى أعود فأقول إنى أتفهم غضبه.

بالمناسبة وافقت على النشر لأن الناشر هدفه أيضًا كان التجربة. والأمر بالنسبة لى بسيط، لذا لم أتحدث عنه مطلقًا إلا موضحًا للأستاذ محمد نفسه فى تعليق على منشوره الذى اتهمنى فيه بالسرقة. ويفصل بيننا الله يوم القيامة على كل حال.

■ نريد أن نتعرف على دورك وأنت محرر رواية «خيانة فى المغرب»، والدور الذى لعبته تقنيات الذكاء الاصطناعى «شات دى بى تى» تحديدًا فى ذلك؟

– أوضحت دورى فى مقدمة الكتاب بالتفصيل. لكن بإيجاز، كان دورى التوجيه فقط، وبعض التحرير. لكن ٩٠٪ من النص كتبه شات جى بى تى «chat GPT»، وأنا أردت تقديم تجربة أدبية نقية قدر المستطاع للوقوف على إمكانات الذكاء الصناعى. كان ذلك الهدف الأوحد، ولذا أعذر من يتهم الرواية بالسذاجة.

■ هل غلاف الرواية من تصميم مصمم بشرى أم أيضًا بواسطة تقنيات الذكاء الاصطناعى؟

– لدى فيديو مسجل من السحابة الخاصة بى على تليجرام، يوضح بداية العمل على غلاف الرواية، والتاريخ واضح فيه ولا يمكن تغييره.

■ أعلنت عن أن تقنيات الذكاء الاصطناعى قامت باستحداث شخصية شخصية جديدة لعجوز فى حانوته .. ما القصة؟

– قلت إن chat GPT تخطى الأفراد، أى أضاف لها أبعاد جديدة وتفاعلات نفسية لم أكتبها، ويمكن لقارئ هذا الحوار إجراء تلك التجربة عمليًا، افتح تطبيق chat GPT واكتب: «احكى لى قصة عن العالم الذرى عبدالسلام، والذى ذهب فى مهمة سرية للصحراء مع وصف شعوره».

■ قلت فى بوست عبر حسابك بموقع «فيسبوك» إن شات «جى بى تى» تخطى الأفراد الذين رسمتهم فى روايتك.. ماذا تقصد؟

– إذا أردت البدء فى كتابة عمل قصصى أو إبداعى سيكتب لك شات «جى بى تى» قصة شبه كاملة فيها تفاصيل عن الشخصية قد تدهشك. طبعًا لا ترقى ولا تقترب من قصة كاتب محترف. لكن لا تنسى أن الآلة هى من كتبت. هذا بالتحديد ما أريد توضيحه للناس.

■ يتهم شات «جى بى تى» بكون معلوماته التى يعتمد عليها من قواعد البيانات عبر شبكة الإنترنت غير محددة هل تعرف ذلك؟ ولو كنت تعرف لماذا قررت الاعتماد عليه فى كتابة روايتك؟

– ليس للمعلومات الصرفة فائدة فى كتابة القصة التى اخترتها. كانت قصة فى المغرب، لم أحتاج ذكر تاريخ المكان أو حتى ما إذا كانت قصة تاريخية.

■ هل ستكرر تجربة الاستعانة بشات «جى بى تى» فى كتابة رواية ثانية أم ستنتجها كاملة بنفسك؟ ولماذا؟

– كانت تجربة chat GPT مجرد تجربة، عندى كتابى «الوحل والنجوم»، وقد ترشح لجائزة كبرى مثل جائزة الشيخ زايد من قبل.

■ كيف يرى الكاتب الشاب أحمد لطفى العلاقة بين المبدع والآلات وتقنيات الذكاء الاصطناعى وهل تخصم تلك العلاقة من مساحة الإبداع البشرى الحقيقى؟

– كما أريد أن أشير إليه هنا هو أننى انتهيت من كتابة مجموعة قصصية واقعية ستنشر قريبًا، وعندى كتاب أدب رحلات أزعم أنه من أهم الكتب الذى ستصدر فى فئته. وأخيرًا أؤكد أننى لدى مشروعى الخاص الذى لن أحتاج فيه الذكاء الصناعى، ولا أريد إخراج التجربة من حيزها.

> chat GPT تخطى الأفراد أى أضاف لها أبعادًا جديدة

لطفى

«البوك تيوبرز» و«البوك توكرز»: صناعة النشر الجديدة على «السوشيال ميديا»

منذ أن صدر تطبيق تيك توك «Tik Tok»، الذى أطلقته شركة «بايت دانس» الصينية عام ٢٠١٨ كمنصة ترفيهية تعتمد على مقاطع الفيديو القصيرة، والتى أصبح لديه الآن أكثر من مليار مستخدم نشط، ويعد التطبيق الأكثر تحميلًا على الهواتف المحمولة خلال عام ٢٠٢٠؛ بدأت دور النشر، والفاعلون فى صناعة الكتاب حول العالم من الاستفادة منه بشكل مباشر؛ حيث بدأ كل من المؤلفين والناشرين يلاحظون الزيادة فى المبيعات بسبب «البوك توك»، كما بدأ المؤلفون فى إنشاء حساباتهم على «البوك توك»، وكذلك الناشرون، كما أنهم تواصلوا مع «البوك توكرز» المشهورين؛ للترويج لعناوين كتبهم، ويشترى الناشرون الكبار حقوق نشر كتب المؤلفين المستقلين، الذين اكتسبوا شعبية كبيرة على «البوك توك»، كما لاحظ تجار التجزئة قدرة «البوك توك» على زيادة المبيعات، مثل «برانز آند نوبل»، حيث خصصت قسم من موقعها خاص بالكتب الشائعة على «البوك توك».

و«البوك توك» هو مجتمع فرعى على منصة «تيك توك» يركز على الكتب والأدب، وهو عبارة عن مقاطع فيديو ينشئها «البوك توكرز»؛ لمراجعة الكتب التى يقرأونها ومناقشتها، والمزاج بشأنها، ويغلب عليها تصوير ذاتى لهم يقدمون فيه رأيهم بأسلوبهم الخاص.

٨٠٪ من «البوك توكرز» المصريين حاصلين على مؤهل جامعى، وأعمارهم من ٢٠ إلى ٢٩ عامًا،

بحسب دراسة نشرتها د. فاطمة إبراهيم خميس، أستاذة مساعد المكتبات والمعلومات قسم المكتبات والمعلومات كلية الآداب جامعة المنوفية؛ تحت عنوان «البوك توك Book Tok وتأثيره على الدعاية للكتب فى مصر: دراسة استكشافية تحليلية»، حيث قامت الدراسة بحصر مجتمع «البوك توكرز» المصريين على «بوك توك»، وعددهم ٢٥ «بوك توكرز»، وتم تحليل ١٠ حسابات من «البوك توكرز» المصريين على «البوك توك» فقط، وهم «نور شعبان، محمود سامى، شروق محمد، يوسف طلعت وصابر محمد، ريم عبدالحميد، سارة إسلام جمال، عبدالمنعم صبرى، فاطمة أبوالنصر، حازم أبوالخير، آدم شريف».

وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج؛ منها أن ٨٠٪ من «البوك توكرز» المصريين حاصلين على مؤهل جامعى، ٢٠٪ من «البوك توكرز» المصريين حاصلون على مؤهل قبل جامعى، ٧٠٪ من «البوك توكرز» المصريين تتراوح أعمارهم من ٢٠ إلى ٢٩ عامًا، ٣٠٪ من «البوك توكرز» المصريين يتواصل معهم المؤلفون للإعلان والترويج لكتبهم.

٦٠٪ من مستخدمى «البوك توك» من المراهقين والشباب.. والكتب الأكثر شعبية ليست من الإصدارات الجديدة

بحسب الدراسة فإن ٦٠٪ من مستخدمى «البوك توك» من المراهقين والشباب بين ١٦ و٢٤ عامًا؛ كما توصلت الدراسة إلى أن نوعية الكتب الأكثر شعبية فى قوائم «البوك توك» لم تكن من الإصدارات الجديدة، وإنما العديد منها قد نشر من قبل، ووجد فى سوق النشر لعدة سنوات، وهو ما يتحدى المعارف والخبرات التقليدية، حيث إنه عادة ما تباع الكتب بشكل أفضل بعد وقت قصير من نشرها وبمرور الوقت يتضاءل الاهتمام بها.

اختيارات العرب على تطبيقات الكتب الصوتية

ما زالت تطبيقات الكتب الصوتية تشهد إقبالًا كبيرًا من قبل قراء الكتب فى العالم، ومنطقتنا العربية خاصة مع جائحة كورونا والحجر المنزلى الذى اتبعه ملايين البشر حول العالم فى العام قبل الماضى وإلى اليوم؛ وذلك من خلال اعتمادهم بشكل كبير على شبكة الإنترنت فى إنجاز مهام العمل، وتلقى المحتوى المعرفى؛ ومنها الكتب الصوتية.

الإحصائيات تقول إن ما يقرب من 10 آلاف كتاب، وهو رقم تقريبى الذى تجمع عليه معظم المصادر حين يتعلق الأمر بحجم الإنتاج العربى السنوى من الكتب الصوتية.

ونحن نودع عام 2023 ونستقبل العام الجديد 2024؛ ثمة كتب وروايات شهدت إقبالًا كبيرًا من الفئات العمرية من الأجيال تحت سن 15 سنة، ومن 15 سنة حتى 29 سنة قراء تلك التطبيقات فى منطقتنا العربية؛ مثل «ستوريتل» فى مصر والإمارات، «ضاد» فى السعودية، «الراوى» فى البحرين، «راوى الكتب» فى قطر، و«مسموع» فى الأردن، ومن أبرزها كتب ورايات الخيال العلمى والأسطورة، وكتب علم النفس وتطوير الذات، والروايات التاريخية.

1

أحمد خالد توفيق فى أدب الخيال العلمى والأسطورة

شهدت أعمال الكاتب الراحل أحمد خالد توفيق الأكثر استماعًا على تطبيقات الكتب الصوتية فى عام ٢٠٢٣؛ وهى تطبيقات يقوم بتحميلها، ومن أبرز أعمال الكاتب الراحل «سلسلة ما وراء الطبيعة»؛ ومنها: «مصاص الدماء، أسطورة النداهة»، وكتاب صوتى عبارة عن سيرة ذاتية عن الكاتب الراحل بعنوان «أسطورة أحمد خالد توفيق».

2

محمد طه فى علم النفس وتطوير الذات

من كتب علم النفس وتطوير الذات؛ برزت أعمال كل من د. محمد طه «ذكر شرقى منقرض»، و«علاقات خطرة»، و«علم نفسك كيف تفكر» لإدوارد دى بونو.

3

نجيب محفوظ وريم بسيونى فى الرواية التاريخية

من الروايات التاريخية، برزت أعمال أديب نوبل نجيب محفوظ بكثرة فى هذا العام عبر تلك تطبيقات الكتب الصوتية مثل «الحرافيش، وأولاد حارتنا»، ورواية «أولاد الناس.. ثلاثية المماليك، ماريو وأبوالعباس» للدكتورة ريم بسيونى، و«عهد ديمانة» لأسامة عبدالرءوف الشاذلى؛ فى قوائم الأكثر استماعًا عبر تلك التطبيقات.

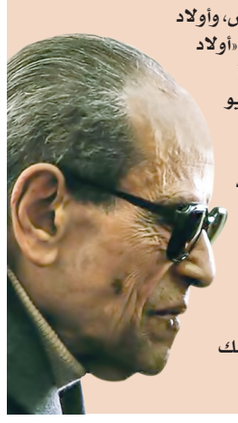

مَنْ مَلَكَتْهُ الصَّغَائِرُ فَقَدَتْهُ الصَّغَائِرُ

أَكْبَرُ خَطَرٍ عَلَيْكَ ثِقَةُ النَّاسِ فِيكَ

مَنْ نَسِيَ مَاضِيَهُ فَقَدْ حَاضِرَهُ

محمد الباز

فى وثيقة بخط يده

التجليات الروحية للمداح الأعظم

ياسين

اقتربت من الشيخ ياسين التهامى المداح الأعظم فى زماننا فعرفت.

لما يقترب من ثلاثين شهرًا جمعتنى جلسات عامة وخاصة مع الرجل الذى تجاوزت شهرته، وتخطى تأثيره حدوده المكانية والزمانية، فأصبح مُنشدًا عالميًا، يسعى العالم خلفه، يرحب به ويستمع إليه، ويضعه فى الموضع الذى يستحقه.

كان حصاد الثلاثين شهرًا بينى وبين التهامى كتابًا اجتهدت أن أقدمه للناس كما ينبغى له، لكن خارج صفحات هذا الكتاب حكايات لم تُرو بعد، أسرار عاهدته أن أحتفظ بها، فلا أفصح عنها أبدًا، صور متداخلة أصبحنا نعرفها ونحفظ أسرارها مبتعدين بها عن تطفل الآخرين عليها وعلينا.

ينشد ياسين التهامى فى محبة الرسول، صلى الله عليه وسلم، منذ خمسين عامًا، كانت بدايته الاحترافية فى العام ١٩٧٣ـ وهو للمصادفة العام الذى ولدت فيه ـ أسهم فى تشكيل وجدان أجيال عديدة، استطاع أن يلعب دورًا مهمًا فى إعادة التوازن النفسى لكثير من الشباب، الذين صدمتهم تجاوزت الجماعات المتأسلمة، فوضعهم على طريق التصوف برحابته واتساعه وقدرته على إراحة العقول المتعبة والأرواح المرهقة.

يعرف من يجاورون ياسين التهامى أنه يميل إلى الصمت، لا يتحدث كثيرًا، جعل الله عشقه للإنشاد يغلب كل شىء عنده، لكن لا يعرف كثيرون ما الذى يعنيه صمت التهامى.

فى صمته تقتحمه خواطر لا يقدر على مقاومتها، خواطر تأتيه من وجوه مريديه وانفعالاتهم، ومن تعاملاته اليومية مع الناس، ومن تأملاته الكثيرة التى يجدها تحاصره بأمر الله، حتى وهو جالس فى زحام المحبين، وكم وجدته يقول لى مبتسمًا إن لديه خاطرة جديدة سجلها، أمنحه أذنى وانتباهى بشكل كامل، فيقول جملته العميقة البليغة، ثم يواصل صمته.

فى أوراقه الخاصة عثرت على أكثر من 300 خاطرة، وثقها التهامى خلال مراحل حياته المختلفة، بعضها كان يحفظها، وبعضها كان يدونها، وهى كنز إنسانى حقيقى يمكننا أن نرسم من خلاله صورة حقيقية لياسين التهامى، صورة تعكس مكنون نفسه، رؤيته لله ولنفسه وللناس، والأهم أنها تساعدنا فى رسم خريطته الروحية التى تقف وراء كل هذا الإبداع والتألق الدائم.

ما كتبه التهامى فى أجندته الخاصة التى منحنى إياها بكرمه ما يمكننا اعتباره تجلياته الروحية، وهى تجليات تؤكد لنا حكمته، ويمكن أن تساعدنا فى فهم ظاهرته العبقرية، وتدعمنا الإجابة عن سؤال يشغل الجميع، إذ كيف لهذا الصعيدى البسيط أن يجعل العالم أسيرًا لكلماته وألحانه؟

لن أتدخل كثيرًا بينكم وبين التهامى.

فقط أحاول ترتيب ما كتبه الشيخ فى خواطره، التى صدرها بقوله: «اللهم لا تجعلنى ممن قيل فيهم قال ليقال.. حمانا الله.. هذه خواطر حية بتجارب حقيقية، أسأل الله أن تكون شاهدة لى لا علىّ، رغم أنها جاءت فى وقت متأخر».

الخواطر لم تأت فى وقت متأخر، فقد صاحبت الشيخ طوال حياته، لكن تسجيل ما حفظه وما دونه وتجميعه، هو الذى جاء متأخرًا.

«خواطر التهامى» هى كتابه الحقيقى، تجربته التى عرف خلالها حقيقة الدنيا التى بكى منها وعليها، ولذلك إذا أردت أن تعرفه من جديد، فما عليك إلا أن تقف أمام ما كتبه عن الله وعن الناس وعن نفسه.. ثم اركن إليه قليلًا وهو يتوجه إلى الله بالدعاء.

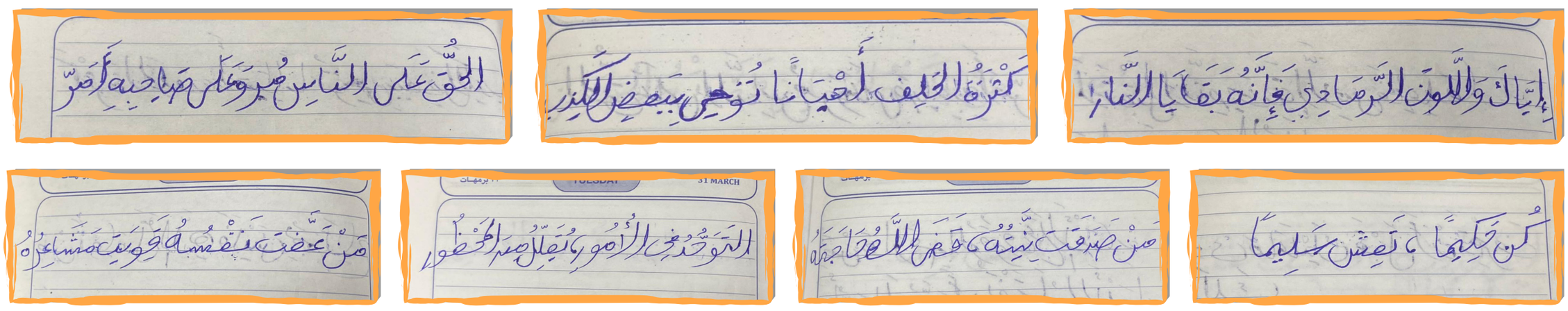

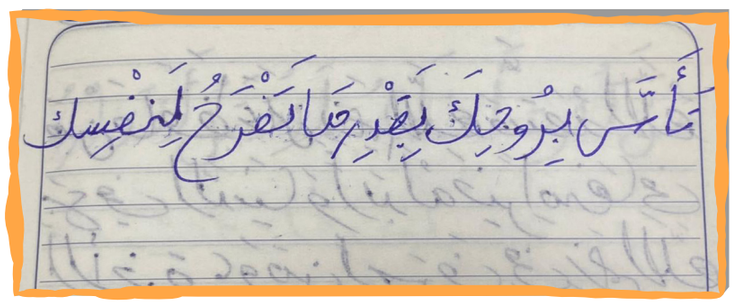

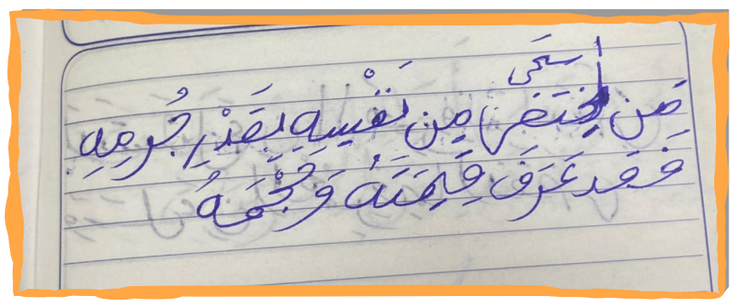

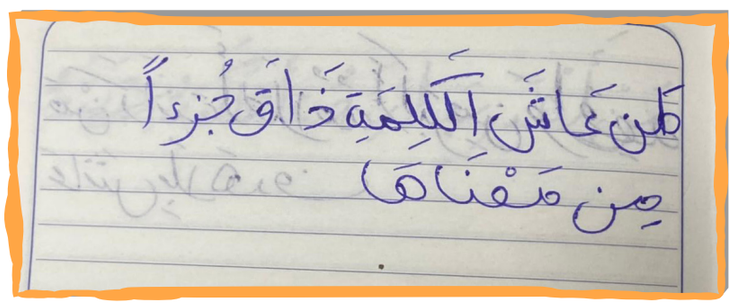

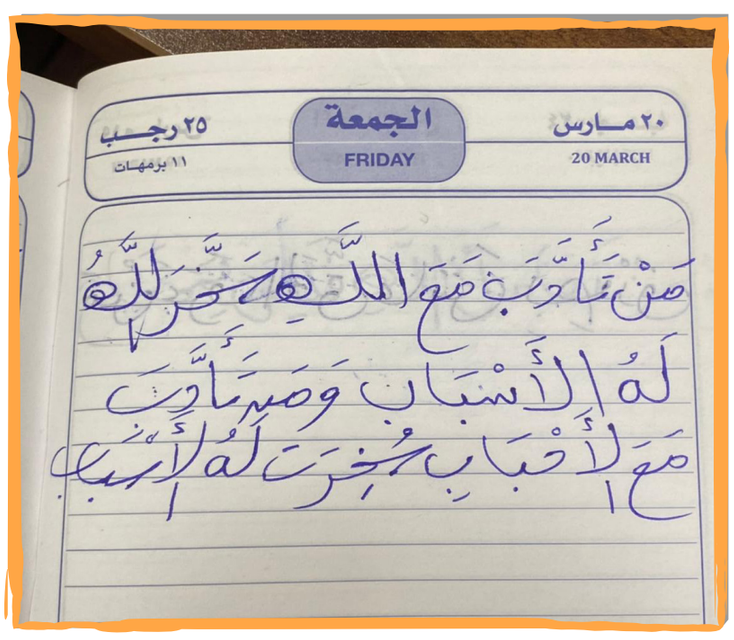

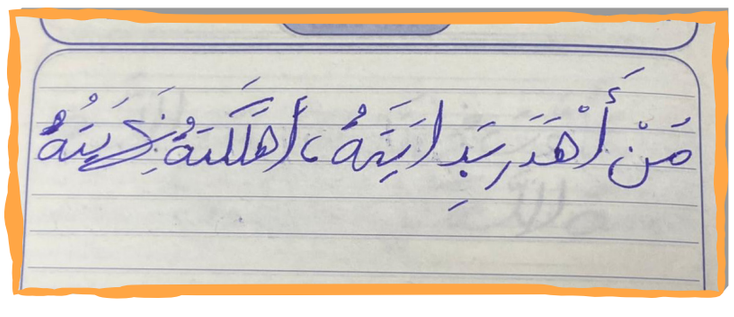

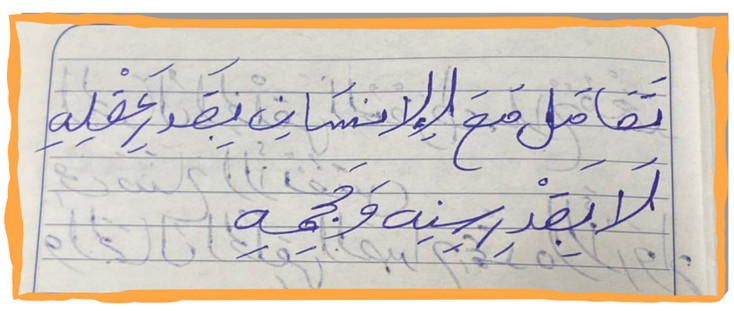

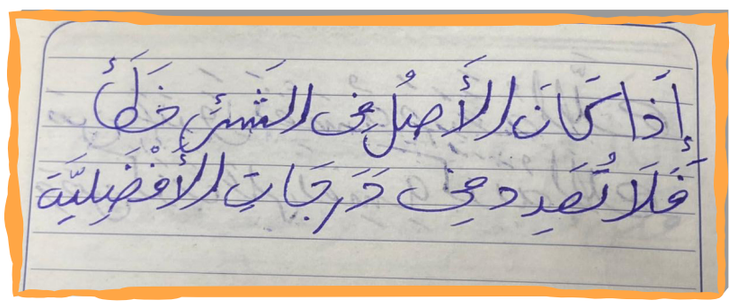

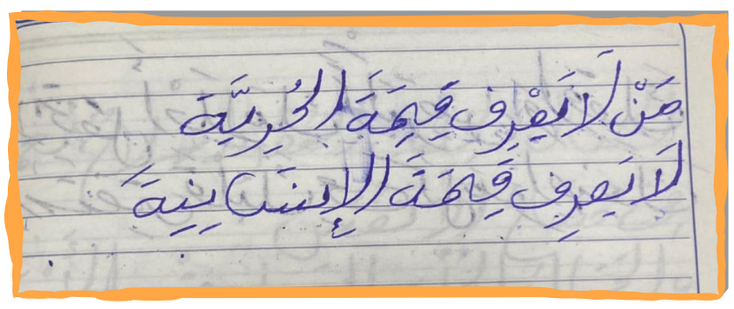

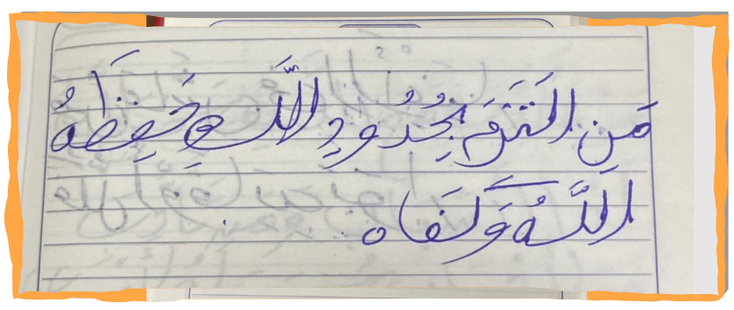

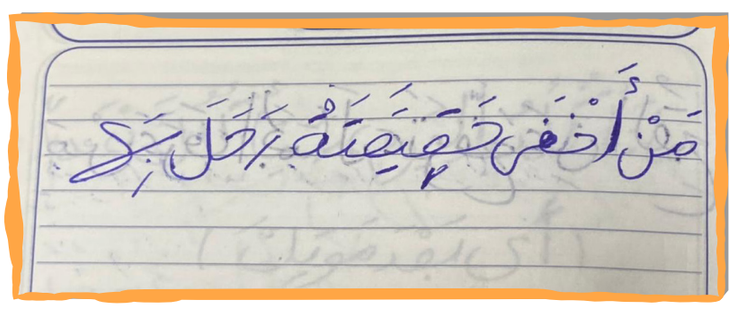

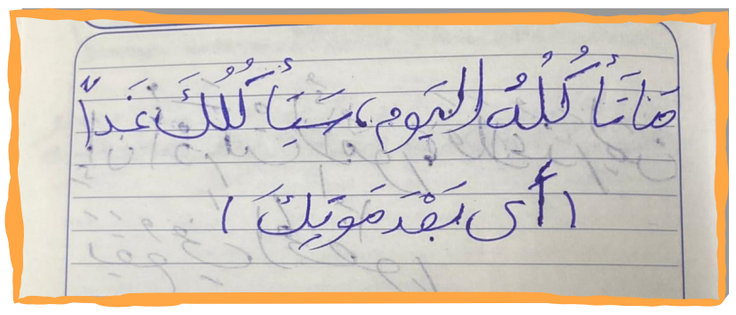

1 حديث التهامى عن الله

يتحدث التهامى إلى الله وعن الله كثيرًا، يعرف أن الله يسمعه، ويقدر ما يقوله له، تأمل فيما يذهب إليه وهو فى حالته الخاصة، التى لا يعرف أحد عنها شيئًا.

■ لا نعيم فى الدنيا إلا بتقوى الله.
■ مَن اطمأن بالله استقرت حياته.
■ مَن رضى بحاله أنقذه الله من أوحاله.
■ مَن لم يستح من الله لا يستحى من نفسه، ومَن لا يستحى من نفسه لا يستحى ممن حوله، فلا يأتيه خير لا من الله ولا من نفسه ولا ممن حوله.
■ لا عذر فى شىء لا يقره الشرع.
■ مَن أدى ما عليه فى رضا الله استراح له كل شىء فى الله.
■ مَن حافظ على نعم الله متعه الله بها فى الدنيا، وأبدله خيرًا منها فى الآخرة، ومَن أسرف فى نعم الله فى الدنيا حرمه الله منها فى الدنيا وحاسبه عليها فى الآخرة.
■ مَن تأدب فى تعامله مع الله، منحه الله كل ما يطلبه.
■ مَن صدق نفسه صدقه الله، ومَن كذب على نفسه كذبه الله.
■ تعامل مع الله فى كل المطلوب والمعقول، وتعامل مع الخلق فى حدود المطلوب والمعقول.
■ مَن تأدب مع الله سخّر الله له الأسباب، ومَن تأدب مع الأحباب سُخرت له الأسباب.
■ مَن التزم بحدود الله حفظه الله وكفاه.
■ مَن تأدب مع الله فى طلبه منحه الله ما طلبه.
■ مَن صدقت نيته قضى الله حاجته.
■ انظر حولك ترى نفسك.. وبعدها قُل الحمد لله.
■ مَن تهيأ للأسباب التى تدله على الله، منحه الله إياها وله استجاب.
■ مَن ترفّع عن كنه ذاته، رفع الله قدره وزاده.
■ مَن لم يؤد ما عليه فى حق الله والعباد، لا يُستجاب له من الله والعباد.
■ مَن أحسن تعامله مع الخالق.. أحسن الله تعامل الخلق معه.
■ إن خلصت النوايا يسر الخالق ما عسره الخلق.
■ مَن أراد النجاة فى هذه الحياة، فليس أمامه طريق سوى الالتجاء إلى الله.
■ لا تستكثر ذنوبك على مغفرة الله.

وعندما يتوجه التهامى إلى الله بالدعاء، تجده يعرف قدر نفسه وقدر ربه، اسمعه وهو يقول:

■ اللهم هيئنا لك فيما يرضيك.
■ اللهم قربنا منك إليك، وباعد بيننا وبين ما لا يرضيك كما باعدت بين المشرق والمغرب.
■ اللهم اجمعنا على ما ضاع منا فى ديننا ودنيانا.
■ اللهم هبنا قلبًا خاشعًا، وعقلًا راجحًا، ولسانًا صادقًا، وروحًا سامية، ونفسًا راضية، وجسدًا قادرًا على طاعتك.
■ اللهم إن قبلتنى فهذا من فضلك، وإن لم تقبلنى فهذا من عدلك.
■ اللهم كما مننت علينا بقرب المسافة، وفقنا لما فيه دوام المواصلة.
■ اللهم بارك لنا فيما مننت به علينا، وارزقنا حُسن التصرف فيه.
■ اللهم هبنا الهمم والعزائم فى كل ما فرضته علينا حبًا فيك وخشية منك.
■ اللهم اجعل نظرنا فى مخلوقاتك فى محل صنيعك وإبداعك.
■ اللهم إنى أشهد وأقر وأعترف أنى قد قصرت فى طاعتك.. فخذ بيدى واشملنى برحمتك.
■ اللهم رد إلينا بفضلك كل ما تسببنا فى سلبه منا.

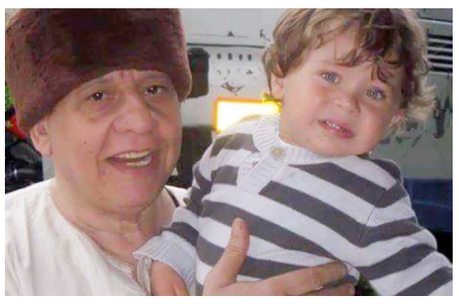

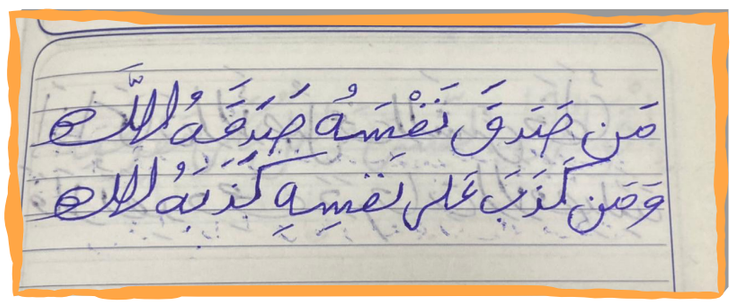

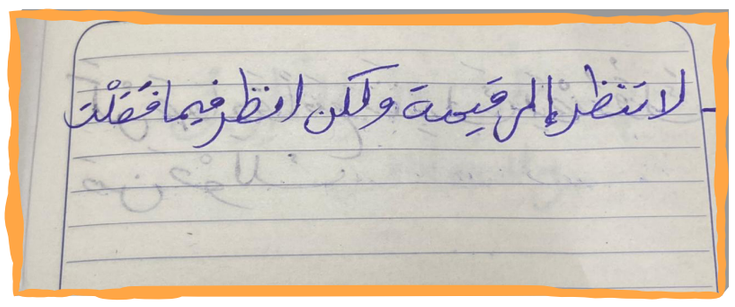

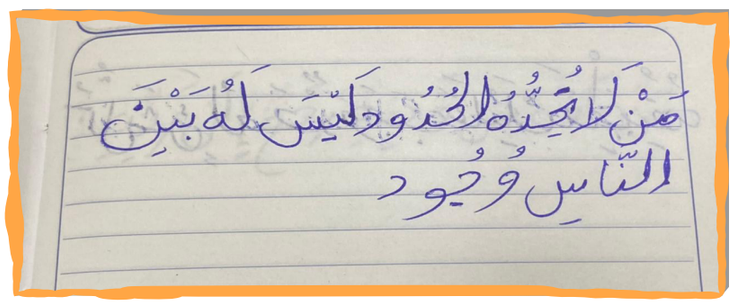

2 حديث التهامى عن الناس

من بين ما يميز ياسين التهامى أنه يقضى وقتًا طويلًا بين الناس، يستمع منهم أكثر مما يتحدث إليهم، وهو ما يجعله فى تأملاته يأخذ من تعامله معهم حكمة ينسجها علها تفيدهم، ومن بين ما قاله:

■ أكبر خطر عليك.. ثقة الناس فيك.
■ الحق على الناس مر.. وعلى صاحبه أمر.
■ لا تقبل النصيحة إلا من فاعلها واحذر من المخادع.
■ ترى مَن تحب بقدر اشتياقك له.
■ اثنان لا يُحترمان.. المجاهر بالمعصية والمتسبب فى جلبها.
■ لا تدرك الأشياء إلا بالمكابدة والمصابرة، فانهض.
■ مجرد إحساسك بالخطأ فى أى شىء دليل على معرفتك بالصواب.
■ البعيد إن كان أسهل فهو أقرب، والقريب إن كان أصعب فهو أبعد.
■ إياك وصنفان من الناس، الأول من يأتى بالمال ولو من أى مكان، والثانى من يحترف الكلام ولو من الشيطان.
■ مَن خرج عن القيم فوجوده بين الناس عدم.
■ مَن تمسك بالأصول فحبه بين الناس موصول.
■ مَن يذهب إلى السوق مبكرًا يأتى بكل ما هو أفضل.
■ الحرص على أداء المفروضات وقاية للعبد من المحرمات.
■ لا تسأل عن العمر فيما مضى، وسل عن العمر فيما انقضى.
■ إذا كان الأصل فى الشىء خطأ، فلا تعدد فى درجات الأفضلية.
■ إن أردت أن تستفيد من شىء فكن قابلًا له، ومقتنعًا به.
■ تعامل مع الإنسان بقدر عقله لا بقدر سنه وحجمه.
■ لا تجعل أحلامك أكبر من واقعك، واستفت قلبك فى كل مواضعك.
■ مَن لا يعرف قيمة الحرية، لا يعرف قيمة الإنسانية.
■ مَن أخفى حقيقته رحل بها.
■ مَن عرف الجمال ترفع عن القبح.
■ ما تأكله اليوم سيأكلك غدًا.
■ إن أدركت الأمور، فلا عذر لك إذا وقعت فى المحظور.
■ مَن داوم بالوقوف على الأعتاب تأدبًا، لا بد وأن تفتح له الأبواب.
■ التوحد فى الأمور يقلل من المحظور.
■ الدنيا مقبرة وكنوسها الجماجم.
■ مَن انتصر على نفسه ليس له عدو.
■ مَن خاصم نفسه صالحه كل الوجود.
■ إياك وتجميل الأسباب، فقد تؤدى بك إلى فقد الصواب.
■ اطلب فى حياتك ما تستحقه لا ما تريده.
■ أحيانًا يكون إنكار الإنسان للشىء عين الاعتراف به.
■ مَن تملأ عينه تأمن من شره.
■ من أحب شيئًا بصدق لا يفقده.
■ ليس للمرء حيلة عند وجود الوسيلة.
■ يعذب المرء بما تهواه نفسه.. وينعم بما تهواه روحه.
■ قيمة المرء فيما فى قلبه، لا فيما فى يده.
■ السعة فى القلوب لا فى زخم الجيوب.
■ من الكرامة أن تؤدى ما عليك، قبل أن تطلب ما لك.
■ من أفنى نفسه فى رضا المحبوب نال منه كل ما هو مطلوب.
■ المال إن ذهب فى مصارفه فهو خادم جيد، وإن لم يذهب فى مصارفه فهو سيد فاسد.
■ من الخطأ أن تتحمل ما ليس فى وسعك.
■ عجبًا لناصح ينصح وهو فى المزابل يمرح.
■ قل لنفسك من أنا، قبل أن يقال لك مَن أنت.
■ من القناعة ألا تنظر إلى ما فى يد غيرك.
■ مَن لم يؤمن شبابه خانته شيخوخته.
■ من نظر إلى ما فى يد الغير عاش والهم له دير.
■ العاقل لا يسأل كم يعيش وإنما العاقل يسأل كيف يعيش.
■ مَن أدى الأعمال بالبقين نال المضمون بالكمال.
■ مَن ذاق طعم العلم مُنح لذة الفهم.
■ لا تنظر إلى أنفك، وانظر تحت قدمك.
■ ليس الانتصار أن تنتصر على عدوك، وإنما أن تنتصر على نفسك.
■ اجعل أفعالك تدل عليك قبل أقوالك، واحفظ أحوالك خشية أن تقع فى المهالك.
■ مَن ترفع عن نفسه ستره الله بين خلقه.
■ تغاضى عما لك.. ولا تنسى ما عليك.
■ من أخذ ما ليس له سُلب منه كل ما له.
■ المالك للأشياء يتصرف فيها كيفما شاء، والحساب عند الله.
■ بأى من المال تستطيع أن تحتوى أجسادًا، وبكل الدنيا لا تستطيع أن تحتوى قلبًا.
■ مهما كان لديك من أى شىء لا تستطيع أن تملك كل شىء.
■ كلمة دون بصائر لا تهدى قلبًا حائرًا.
■ يشكو الإنسان دائمًا كل ما ليس فى يده.
■ الحاضر الجيد يمحو الماضى السيئ.
■ إن صدقت النوايا وهذبت الأنفس وسمت الأرواح، فليس هناك كلل ولا ملل ولا خلل ولا ذلل.
■ أقول لكل محب اللهم هبنى ما يسرك أنت، من أجلك لا من أجلى.
■ ليست الثقافة أن تسأل فتجيب، وإنما الثقافة أن تكون قد أصبت بما أجبت.
■ لا تبتاع شيئًا لست فى حاجة إليه، وإلا دخلت فى دائرة الإسراف.
■ توافر الإمكانات أحيانًا يؤدى بصاحبها للوقوع فى المخالفات.
■ إياك أن تجمل شيئًا وهو فى الأصل خطأ، وإلا أصبحت شريكًا فيه.
■ مَن عاش سليم القلب فى حياته فلا يزعجه الزمان ولا المكان ولا الأشخاص.
■ المحب هو مَن تفهم صمته قبل أن تسمع صوته.
■ من الحكمة ألا تضيق واسعًا، وألا توسع ضيقًا.. وكن فطنًا.
■ إن صدقت نيتك وقويت عزيمتك يسر الله لك الأسباب وقضى لك حاجتك.
■ إن حظيت بعصفور بين يديك، فلا يحق لك أن تقصص ريشه.

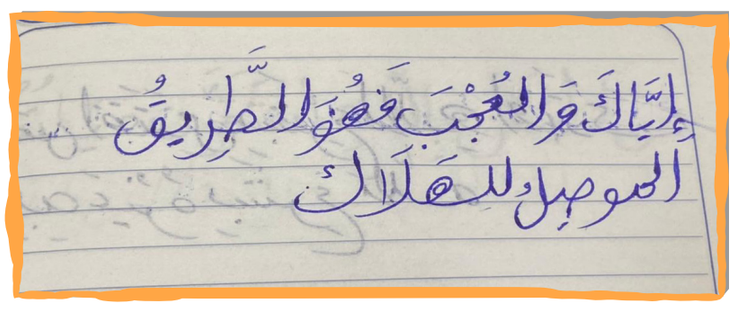

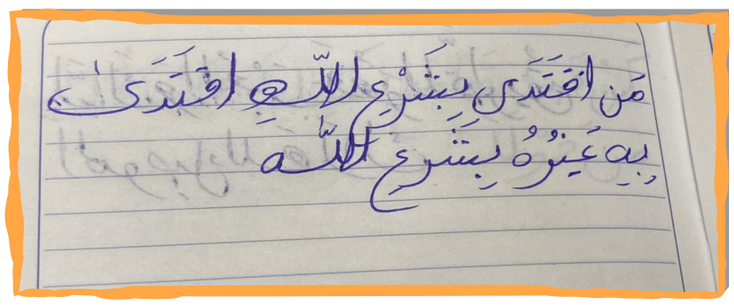

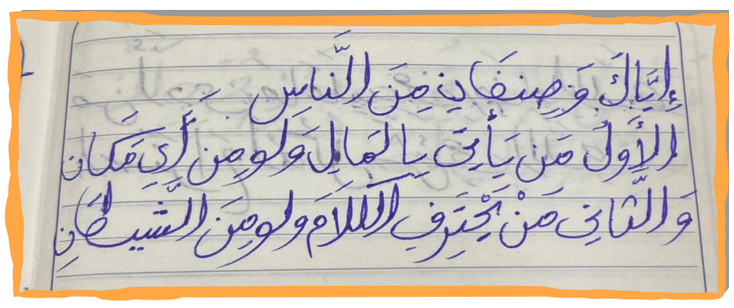

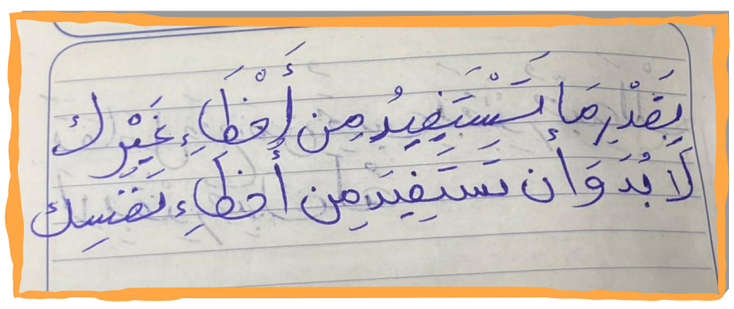

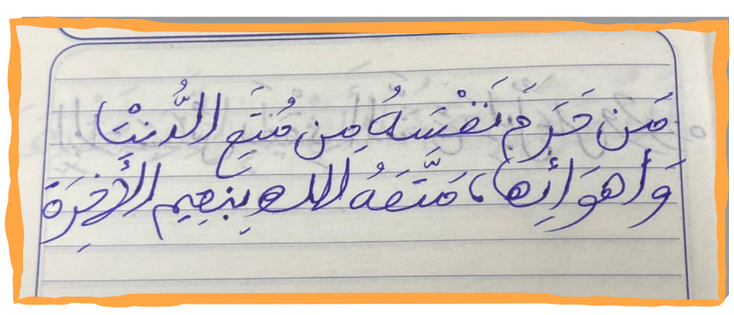

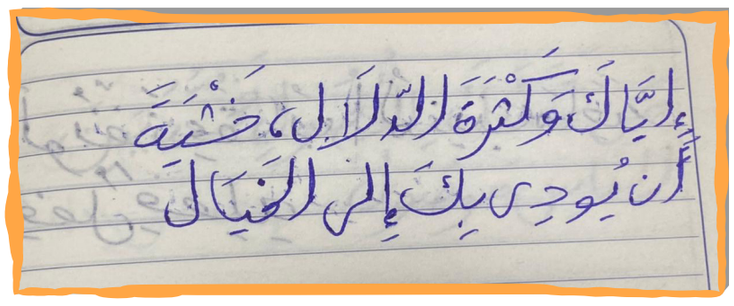

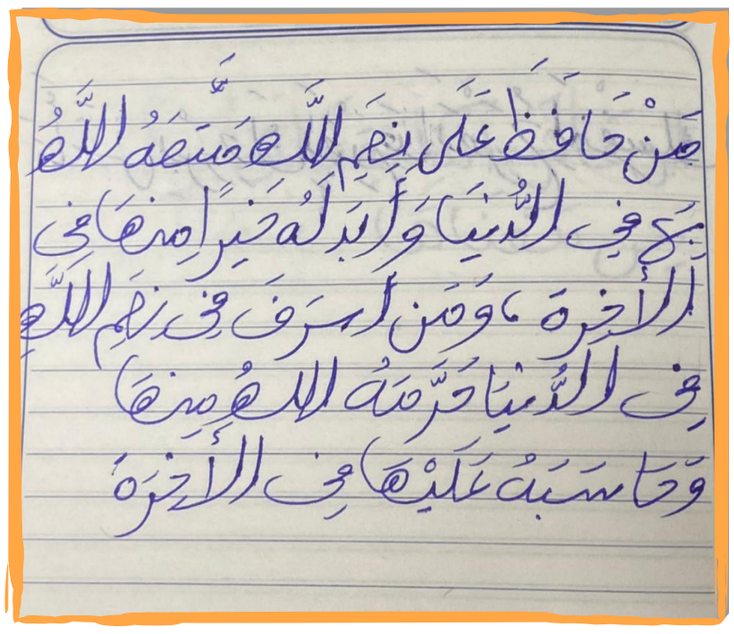

3 حديث التهامى عن نفسه

مَن يعرف ياسين التهامى جيدًا، يعرف كم هو قاسٍ على نفسه، وهو ما يظهر لنا فى الحديث الذى يوجهه لنفسه، قبل أن يوجهه للآخرين، ومنه:

■ مَن نسى ماضيه فقد حاضره.
■ مَن ملكته المبانى فقدته المعانى.
■ كثرة الحلف أحيانًا توحى ببعض الكذب.
■ إياك واللون الرمادى فإنه بقايا النار.
■ إذا عرفت الأشياء وجب عليك الالتزام بها.
■ كل شىء له حد وجب عليك تطبيقه.
■ مَن لا تحده الحدود ليس له بين الناس وجود.
■ لا تكن كالرحا لا تميز ما بين دفتيها.
■ لا تُصدق أحدًا إلا بما هو فيك أنت.
■ لا تطمع النفس إلا فى غير ملكها.
■ ما لا يتفق مع دينك لا يتفق مع عافيتك.
■ لا يُقاس العمر بالزمن، وإنما يُقاس العمر بتحقيق الأمل.
■ إياك والعجب فهو الطريق الموصل للهلاك.
■ كن صادقًا مع نفسك يصدقك من حولك.
■ كثير الحياء قليل الكلام.
■ لا يصل البر منك لغيرك إلا فيما تحب.
■ مَن حرم نفسه من متع الدنيا وأهوائها، متعه الله بنعيم الآخرة.
■ إن أردت أن تعرف حقيقة نفسك فاسأل عنها روحك.
■ إن أردت أن تعرف شيئًا عن أى شىء فافهم ضده.
■ بقدر ما تستفيد من أخطاء غيرك لا بد وأن تستفيد من أخطاء نفسك.
■ تعامل مع مَن تحب بقدر حبه لك لا بقدر حبك له.
■ الإحساس بفقد الشىء دليل على وجوده.
■ إن أردت القبول فلا تطلب المستحيل.
■ مَن استحى من نفسه بقدر جرمه، فقد عرف قيمته وحجمه.
■ إذا اتجهت إليك الأنظار فأنت فى الحياة أسير.
■ من كثرت أخطاؤه لا تُقبل أعذاره.
■ تأسى بروحك بقدر ما تفرح لنفسك.
■ مَن كانت أحلامه أكبر من واقعه عاش بلا هدف.
■ مَن أهدر بدايته أهلكته نهايته.
■ مَن عفت نفسه، قويت مشاعره.
■ مَن عاش فى الأغيار فكل أوقاته بوار.
■ مَن اختفى من نفسه أدرك حجمه.
■ الحق واجب، فحاسب نفسك قبل أن تحاسب.
■ كن حكيمًا تعش سليمًا.
■ مَن أدمن أى شىء هان عليه كل شىء.
■ مَن لم يتعلم من أخطائه عاش محاصرًا فى أعبائه.
■ أمل بلا عمل وجود مفقود.
■ حياة بلا حياء موت بلا موت.
■ أشباح بلا أرواح كأشجار بلا ثمار.
■ مَن عرف حدوده تجرد من قيوده.
■ كلما ازداد إقبال الناس علىّ ازددت قسوة على نفسى.
■ صمت يعولنى خير لى من عقل أعوله.
■ ما ألذ الاحتراق إذا كان المعذب هو الهوى.
■ مَن سكن فيك ليس بغائب عنك.
■ من الحكمة إن لم تكن صديقًا فلا تكن عدوًا.
■ إياك والأنا حتى لا تقع فى الهلاك.
■ لا تبحث عن الشهرة ودعها تبحث عنك.

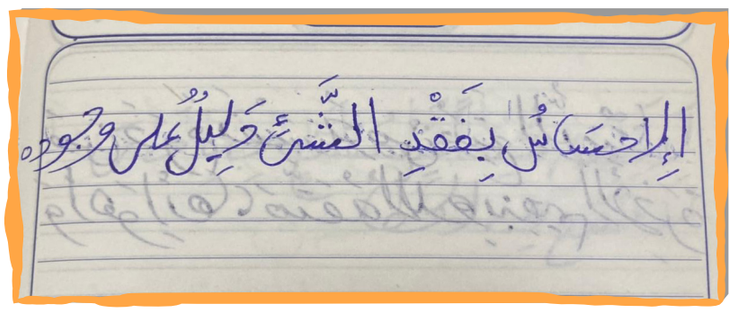

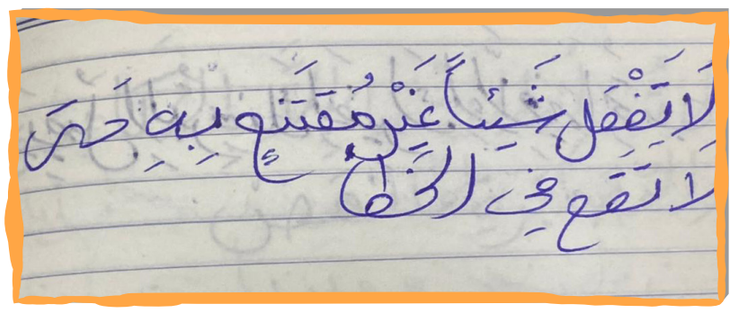

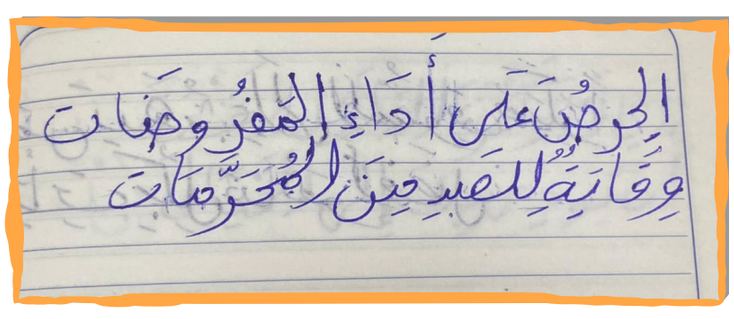

الحكيم

ينتمى توفيق الحكيم «9 أكتوبر 1898م- 26 يوليو ١٩٨٧»، إلى جيل كانت المسألة المصرية المحور الأساسى والبنية العميقة لمشروعه الأدبى، ولن نبالغ إذا قلنا إن الحبكة الرئيسية لأعمالهم هى مصر وتاريخها فى صور متعددة، فقد كتب الحكيم رواية «عودة الروح» وقال بعد ذلك: «لم يكن قصدى تأليف رواية بل إقناع نفسى بأنى أنتمى إلى بلد له كيان محدد ومستقل، وتاريخ طويل نمنا فيه، وآن لنا أن نستيقظ وتعود الروح»، ثم كتب مسرحية أهل الكهف التى جسَّد من خلالها المراحل التاريخية التى مرت بها الشخصية المصرية، ممثلة فى الوثنية والمسيحية والإسلام، بالإضافة إلى مشروع طه حسين وسلامة موسى، فقد كتب الأول «مستقبل الثقافة فى مصر» بعد توقيع معاهدة 1936، وكتب الثانى «مصر أصل الحضارة» 1947، ومن بعدهم نجيب محفوظ الذى قدم أربعة أعمال تاريخية فى بداية حياته، لا تخلو موضوعاتها من دلالة للإجابة عن سؤال الهوية «رادوبيس ـ عبث الأقدار ـ كفاح طيبة، مصر القديمة» وكتب شفيق غربال «تكوين مصر»، وصبحى وحيدة «فى أصول المسألة المصرية» وصبرى السوربونى «نشأة الروح القومية المصرية»، بالإضافة إلى الكتاب الأهم «شخصية مصر» لجمال حمدان.. فقد كانت المسألة المصرية المحور الرئيسى للثقافة فى النصف الأول من القرن العشرين للجيل الذى ينتمى إليه توفيق الحكيم.

جرجس شكرى

فيلسوف الأدب

الباحث عن ملامح الشخصية المصرية

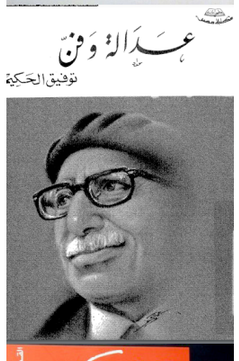

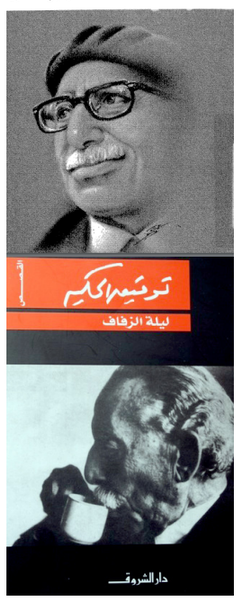

1 هوية مصر

البحث عن روح الشخصية المصرية كان محورًا أساسيًا لكل أعمال توفيق الحكيم، يبحث فى تكامل ملامحها بين مصر الفرعونية والمسيحية والإسلامية، ويؤمن إيمانًا عميقًا بحضارتها وتاريخها وشعبها، توفيق الحكيم الذى صعد بالأدب المسرحى بكامل هيئته إلى خشبة المسرح، أدهشنى لأنه ليس كغيره من المفكرين الذين يقذفون بما حفظوا من نظريات جامدة، بل كانت النظريات تخرج من فمه حية تمشى على الأرض لها يدان وساقان ووجه ولسان فى كل أعماله الروائية والمسرحية والفكرية يناقش قضايا اللحظة الراهنة، حيث شارك فى كل الأحداث التى مرت بمصر فى حياته ولكن بأسلوبه هو، لأن الفن لا يعيش بالغاية، الغاية فانية، إنما الفن يعيش بالأسلوب، ولن أبالغ إذ قلت إنه كاتب شعبى لا بد أن يقرأه الجميع، لأنه أجمل من كتب عن مصر، فكما كان فلاسفة الإغريق ينفقون أعمارهم فى البحث عن قضايا الوجود، أنفق هو عمره فى البحث عن ملامح الشخصية المصرية، ليكتبها فيما بعد فى كل رواياته ومسرحياته ومقالاته الفكرية، ولم يكن لديه سقراط يكتب من خلال شخصيته فلسفته وأفكاره فى صورة حواريات بل عشرات فى صور وأشكال مختلفة، وعبر هذه الشخصيات أبطال محاوراته طرح مئات الأسئلة حول الشخصية المصرية، حتى فى أعماله غير الأدبية ثمة أسلوب أدبى، شجرة الحكم السياسى، محاورات درامية للسخرية من أهل السياسة، فلا بد من أسلوب بكل جمالياته حتى يتكلم توفيق الحكيم، لذلك أشعر أن كل أعماله كتاب ضخم يضم أجزاء عديدة، عنوانه البحث عن الشخصية المصرية.

2 «عودة الروح» و«أهل الكهف»

لأن قضية توفيق الحكيم الرئيسية هوية مصر حين عاد من رحلته الطويلة فى باريس كتب مسرحية «أهل الكهف» ١٩٣٣ ومن خلالها كان يبحث عن الشخصية المصرية ورأى أن مصر الحية تتكون من حلقات عمرها الطويل من تيارات فكرية شتى فى عهود متباينة من الوثنية إلى المسيحية إلى الإسلام، ويؤكد أن شخصية مصر فى تكامل ملامحها ومسار تفكيرها عبر القرون، و«أهل الكهف» مأخوذة عن القرآن فى موضوع مسيحى، وعن تفكير فى الزمن الوثنى، حيث كان يحاول ربط حلقات هذه التيارات الفكرية فى العصور الثلاثة، ولم يختلف الأمر كثيرًا فى رواية «عودة الروح» التى أكد فيها على قدرة هذا الشعب على التقدم والنهوض، فهى قراءة عميقة فى الشخصية المصرية بكل تجلياتها الفلاح وابن البلد والأفندى ابن الطبقة الوسطى وابن البلد والفتاة التى ترمز لإيزيس، وفى خضم المناقشات التى وضعها الحكيم فى الرواية وتدور بين المفتش الإنجليزى والمصرى فى بيت والد محسن، يقول المفتش «جىء بفلاح من هؤلاء وأخرج قلبه تجد فيه رواسب عشرة آلاف سنة، من تجارب ومعرفة رسب بعضها فوق بعض وهو لايدرى! نعم هو يجهل ذلك، ولكن هناك لحظات حرجة فيها هذه المعرفة وهذه التجارب فتسعفه وهو لا يعلم من أين جاءته»، وسوف تتردد هذه الأفكار بقوة فى الرواية التى تغوص فى أعماق الحضارة المصرية، فقد كان يعى جيدًا وضع مصر أو المسألة المصرية فى تلك لفترة ليذكر بعد سنوات فى كتابه بين عهدين ما حدث بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وهزيمة الدولة العثمانية أو الرجل المريض حين ذهب زعماء مصر يسألون الإنجليز عن وضعهم، ويصف الحكيم هذه اللحظة كمشهد درامى «فسألهم الإنجليز عما يقصدون فقالوا: زوال الاحتلال البريطانى، فسألهم الإنجليز: وماذا بعد الاحتلال؟ هل تعودون إلى الدولة العثمانية المنهزمة؟ فقال الزعماء: بل نعود إلى مصر، فدهش الإنجليز وسألوا: ما هى مصر؟ فإننا لا نعرف شيئًا اسمه القطر المصرى. وكما هو موجود على الخرائط الرسمية يتبع سياسيًا الدولة العثمانية وحضاريًا العربية حسب الدين واللغة، أما مصر فأين هى؟ وما هى مقوماتها؟ وما هى شخصيتها؟»، وظنى أن هذه الكلمات ظلت فى عقل توفيق الحكيم ووجدانه حتى بعد زوال الاحتلال، فمصر بالنسبة لتوفيق الحكيم ليست وطنًا يحبه بل عقيدة يؤمن بها، عقيدة قوية وراسخة، والصورة المناسبة له تمثال الكاتب المصرى، حيث يحلو لى كثيرًا أن أنزع رأس التمثال وأضع رأس توفيق الحكيم.

3 أكذوبة البرج العاجى

توفيق الحكيم فيلسوف الأدب الذى أعترف أننى أتوقف عن التجول بين أعماله، إذ يحلو لى بين الحين والحين أن أعود إليه «رحلة بين عصرين، أهل الكهف، عودة الوعى، عودة الروح، راقصة المعبد، بنك القلق، الطعام لكل فم، تحت شمس الفكر، شجرة الحكم السياسى»، وغيرها من الأعمال، ليس شرطًا أن أقرأ الكتاب كاملًا، ألهو كمن يتنزه فى حديقة ويقطف من ثمارها، الثمار التى تذوق حلاوتها من قبل ويعرفها جيدًا، لذلك ينهل منها دون حساب سعيدًا مطمئنًا، وأنا أعيد قراءة «رحلة بين عصرين» الذى كتبه عام ١٩٧١ حين قام برحلة إلى باريس ليقارن بين حياته هناك حين سافر عام ١٩٢٧ والحياة بعد نصف قرن، فماذا حدث؟ وهذه الرحلة تكشف لى كلما قرأتها عن خبايا سيرته الذاتية «زهرة العمر وسجن العمر»، وخاصة زهرة العمر التى تدور أحداثها فى باريس، وحين أقرأ ما يكتبه الحكيم عن سيرته الذاتية، لا أعرف إذا كان يسرد أحداثًا واقعية حدثت بالفعل أم أن الخيال يعمل فى أقصى تجلياته؟!، فالواقع عنده يختلط بالخيال والخيال يهاجم الواقع، وهذا ما يحدث لى حين أقرأ أعمالًا أخرى مثل يوميات «نائب فى الأرياف، وراقصة المعبد» وغيرها، لا تعرف أين حدود الواقعى الذى عاشه وأين الخيال، أعرف أنه من البديهى أن ينطلق الكاتب من الواقع ويلعب الخيال دوره فى الكتابة، ولكننى كقارئ، لا يختلط علىَ الأمر مع الكتّاب الآخرين، لأننى أعرف أن هذه رواية، وتلك سيرة ذاتية، ولكن مع توفيق الحكيم لا أعرف، فالحدود الفاصلة تمت إزالتها، ظننت حين قرأت «راقصة المعبد» لأول مرة، وخاصة فى الصفحات الأولى أنها ذكريات ليس فقط لأنه يضع عنوانا فرعيًا إلى جانب العنوان الرئيسى «ذكرى سالزبورج، صيف ١٩٣٦»، بل إنه بارع فى خداع قارئه بمهارة شديدة أليس هو القائل فى هذا الكتاب «إن الكذب المتسق هو أصدق من الصدق.. ما لفن إلا كذب متسق جميل» وكان دائم الدعاء: اللهم نسق لى كذبى، وما البرج العاجى إلا خدعة كبرى «ليس لنا أن نسأل عن غاية الحياة، ولا عن غاية الفن، ولا عن غاية العلم! الأسلوب كل شىء عند كل خالق، إن الخالق أعظم من أن يحبس إرادته الخالدة فى حدود- غاية- الغاية مفردة من صنع العقل البشرى الصغير، الفن لا يعيش بالغاية، لأن الغاية فانية كاسمها، إنما يعيش الفن بالأسلوب».. فهل يضع هذا الكلام توفيق الحكيم فى البرج العاجى؟

4 عودة الوعى ثورة المعتزل

كان الحكيم بالنسبة لى لغزًا، أقرب إلى مدينة حصينة أحاول اقتحام أسوارها، وفى كل محاولة أرتد حزينًا، ففى بداية مشوار القراءة كان نجيب محفوظ ويوسف السباعى وإحسان عبدالقدوس وحتى طه حسين، جبالًا شاهقة لكننى كنت أستطيع تسلقها حتى ولو بصعوبة، كنت أقرأ هؤلاء وغيرهم فى سن مبكرة، ولكن كلما اقتربت من توفيق الحكيم عدت أجر أذيال الخيبة، أعرف قيمته ولكن لا أجيد التواصل معه، ثمة حلقة مفقودة لا أعرف أين هى، أخاف الاقتراب منه وكلما اقتربت تبعدنى أسئلته العصية على الفهم، وذات يوم وأنا أتجول بين المكتبات فاجأنى العنوان المكون من سطرين مع صورة للحكيم فى ملابسه الرسمية على الغلاف «ثورة المعتزل- توفيق الحكيم.. الجيل والطبقة والرؤيا» بقلم الدكتور غالى شكرى، وتقريبًا التهمت الكتاب الذى فتح لى كل أسوار المدينة الحصينة، بل ورأيت الحكيم يتجول فى الطرقات بملابس النوم يمسك عصاه ويلهث هنا وهناك، يجلس قليلًا بين «أهل الكهف»، يرتب طبقات الحضارة المصرية ويبتسم أو يلتقى «السلطان الحائر» يسأله: هل يختار السيف أم القانون؟ أو يصرخ أمام «بنك القلق» مطالبًا القيادة السياسية بحرية المواطن.. لقد تحطمت كل أبواب المدينة فى هذا المجلد، ففى الكتاب الأول «ثورة المعتزل» الذى صدر عام ١٩٦٦ لم يعد الحكيم الكاتب الغارق فى المطلقات المجردة بعيدًا عن قضايا الناس، أما الكتاب الثانى والذى نشره لأول مرة عام ١٩٩٠ لم يكن قراءة فى أعمال فيلسوف الأدب، بل معركة ضارية بينهما حول كتاب «عودة الوعى»، الصورة الأخرى والتى وضع غالى شكرى خطوطها الأولى فى اعترافات الزمن الخائب، ثم بعد ذلك فى الوثيقة الأهم «من الأرشيف السرى للثقافة المصرية» والتى تدور كلها حول سؤال ظل يتردد كثيرًا ألا وهو: هل كان صاحب عودة الروح فاقدًا للوعى طيلة حكم عبدالناصر؟ وما زلت أذكر ثراء الحوار بينهما حول الكتيب الصغير أو المنشور السياسى «عودة الوعى» كما يصفه غالى شكرى، حوار أقرب إلى مصارعة شرسة فى حلبة الملاكمة.

مصر بالنسبة لتوفيق الحكيم ليست وطنًا يحبه بل عقيدة يؤمن بها عقيدة قوية وراسخة والصورة المناسبة له تمثال الكاتب المصرى

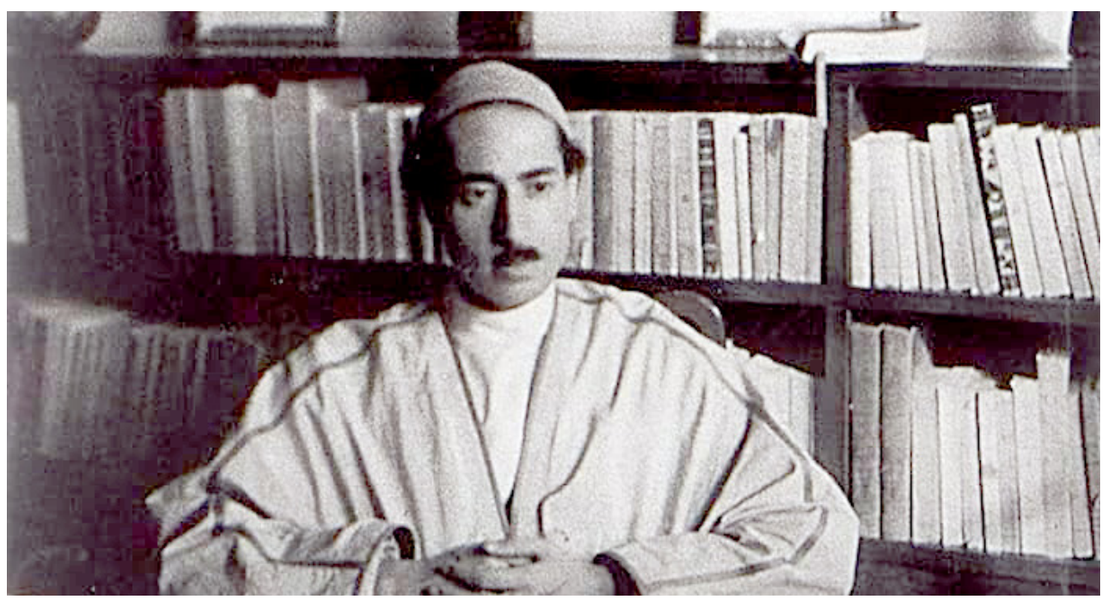

وولده

هل قتل المفكر الكبير مشروع «عمر خيرت» آخر فى بيته بسبب البخل المادى والعاطفى؟

أن تولد فى بيت شخص بقيمة وقامة واحد من أهم عقول مصر المفكرة على مدى تاريخها اسمه توفيق الحكيم.. فتلك من المفترض أن تكون منحة إلهية لا تقدر بثمن.
أن تكون ابن توفيق الحكيم، فالمنطق يقول إن هذا الأمر يفتح لك أبوابًا كثيرة عصية على الفتح على أقرانك.. خاصة لو كانت لتلك الأبواب علاقة بالفن لأنه بالتأكيد سيكون أبوك فى ظهرك وسيدفعك بما يملك من ثقل مادى وثقافى لتصنع تجربتك الفنية على مهل.
لكن منذ متى والمنطق يحكم الأشياء فى هذا العالم؟
تخيل أن هناك مشروعًا موسيقيًا ولد فى نهاية الستينيات لشاب متمرد أراد أن يخلق حالة موسيقية جديدة تعبر عن جيله وتشرح تمرده. هذا الشاب الحالم اسمه إسماعيل توفيق الحكيم .. لكن مشروعه وئد للأسف الشديد من نفس الناحية التى يفترض أن يأتى منها الدعم.. الأب نفسه

محمد جلال فراج

إسماعيل

ذنب توفيق الحكيم الذى لا يغتفر

1
تجربة «بلاك كوتس»

فى نهاية سنة ٦٧ الكبيسة التى خيمت على الوطن بنكسة غير مسبوقة أضاعت سيناء وأضاعت معها أحلامًا عريضة لشعب حالم.. بدأت تنشر إعلانات على استحياء لسهرات رأس السنة كالعادة فى الجرائد والمجلات.. من ضمن تلك الإعلانات كان هناك إعلان صغير يدعو الناس لقضاء الليلة الموعودة بفندق فلسطين الشهير بالإسكندرية مع وعد بعشاء فاخر على أنغام فرقة جديدة تحمل اسمًا أجنبيًا «black coats» بلاك كوتس.. وكانت أسعار الدخول للفرد ٥٠٠ قرش خالصة الضريبة.. مع وعد بمفاجآت سارة وهدايا ولعب مقدمة من أشهر محلات الأزياء.

بالتأكيد من ذهب فى تلك الليلة لم يكن يعرف أن صاحب هذه الفرقة الناضحة بالحس الغربى مؤسسها هو ابن رمز من رموز الشرق وأحد عمالقة الأدب والمسرح والفن العربى كله.. فى ظاهرة غريبة ستزداد غرابة مع تطور الأحداث فى السنوات التالية.. الابن اسمه اسماعيل والأب هو توفيق الحكيم.. والعلاقة بينهما ليست على ما يرام.

إسماعيل بدأ موجة انتشرت أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات وهى الفرق الغنائية الغربية والتى أفرزت أجيالًا جديدة بتذوق مختلف للموسيقى متمرد على جيل آبائه الذى تربى سمعيًا على صوت الست أم كلثوم وعندما جدد سمع عبدالحليم حافظ ونجاة وشادية.

وظهرت فرق أخرى كثيرة بعد أو بالتزامن مع فرقة إسماعيل الحكيم مثل فرقة «Les Petits Chats» التى ضمت شبابًا سوف يحملون مشاعل الموسيقى فى العقود التالية مثل عمر خيرت وهانى شنودة وعمر خورشيد وعزت أبوعوف الذى كان واحدًا من فرقة البلاك كوتس للحكيم لكنه انفصل عنها وأسهم فى تكوين فرقة Les Petits Chats ثم فرقته العائلية التى كانت مكونة منه وإخوته البنات 4m.

وإذا نحينا القدر الذى فرض على إسماعيل موتًا فى سن العشرينيات بعد مأساة إدمان ثم مرض عضال أصاب كبده، وتساءلنا: لماذا نجح عمر خورشيد وهانى شنودة وعمر خيرت بينما حاصر إسماعيل الاكتئاب الذى قتله قبل أن يقتله المرض على الرغم من أن إسماعيل وباعتراف الحكيم نفسه بعد أن استرد وعيه بموهبة ابنه، حيث قال إن إسماعيل كان يفكر فى عمل فنى جاد كبير لا يدرى من سيكون جمهوره، هو أن يجمع بين «الأوركسترا السيمفونى» و«الموسيقى الحديثة» فى شبه «كونسيرتو للجاز»، وقد أعد العدة لإنجاز هذا المشروع الفنى الضخم وأراد أن يترك مصيفه فى الإسكندرية قبل نهايته ويعود إلى القاهرة للشروع فى العمل لولا أن تدخل من عطله عن العمل وأبقاه فى المصيف حتى مرض هناك مرضه الأخير.

الحقيقة التى أدركها الحكيم نفسه أنه السبب الرئيسى فيما حدث لابنه الموسيقى الواعد، لأنه ابتعد عنه وجافاه حتى اتسعت الهوة بين الأب وابنه وصارت المسافة بينهما كبيرة نظرًا لابتعاد الحكيم منذ البداية عنه واقتراب الابن بالتالى من أمه إلى درجة أنها حين بلغ الثالثة عشرة من عمره حاولت أن تنبه الحكيم أكثر من مرة إلى أن إسماعيل ملتصق بها جدًا، وهو الآن فى سن المراهقة وعلى أبواب مرحلة الشباب والمفروض أن يجد أباه أكثر مما يجد أمه، فكان الحكيم كما يقول «لا أعيرها اهتمامًا وأقول لها ابتعدى عنى أنا مش فاضى للكلام الفارغ ده».

2
محاولة هيكل

الكاتب الصحفى إبراهيم عبدالعزيز رصد فى موضوعات صحفية كثيرة رسائل إنسانية للحكيم جمعها إبراهيم فى عدة كتب بعد ذلك، وفيها حكاية الكاتب الأعظم عن جنايته المبكرة فى حق ابنه وكيف أنه أدرك حاجته له بعد فوات الأوان.. وقد نشرت مجلة الإذاعة والتليفزيون حلقات فى عام ٨٧ حين كان يمر توفيق الحكيم بآخر سنوات عمره التى قضى أغلبها متنقلًا بين المستشفيات غارقًا لفترة طويلة فى غيبوبة متقطعة نرصد هنا الحلقة التى نشرت فى عدد ٢٥ يوليو ١٩٨٧ بعنوان «عندما بكى الحكيم» وبدأت بقصة على لسان الحكيم نفسه كما نقلها محرر المجلة حيث يقول: جلس معى يومًا السيد محمد حسنين هيكل وكان رئيسًا لتحرير الأهرام، والسيد جلال الدين الحمامصى وكان يومها فى الأهرام أيضًا.. وجاء ذكر ابنى إسماعيل».

وقال هيكل: هل تعرف أن ابنك إسماعيل يعزف فى الأندية الليلية؟

قلت لهيكل: هكذا يعيد التاريخ نفسه، كان أبى يريد منى أن أكون قاضيًا واخترت أنا طريق الفن، كذلك كنت أريد من ابنى إسماعيل أن يكون مهندسًا محترمًا، لكنه اختار طريق الفن على الرغم منى.

وسألنى هيكل: وهل رأيته وهو يعزف؟

قلت له: كيف أراه وأنا أنام فى الحادية عشرة مساء، بينما هو يبدأ العزف فى هذا الموعد ويظل يعزف إلى أن يقترب الصباح؟

وهنا اقترح علىّ «الحمامصى» أن أذهب ليلة لأشاهد ابنى وأكتب مقالًا عنه، وتحمس هيكل للفكرة وأخذ يزينها لى.

وأخيرًا قال لى: هل تعرف كم سأعطيك ثمنًا لهذا المقال؟.. سوف أدفع لك خمسة آلاف جنيه.

ولم أصدق لأن خمسة آلاف جنيه فى ذلك الوقت- ١٩٧٠- كانت مبلغًا كبيرًا جدًا، فقلت له: معقول أن تدفع خمسة آلاف جنيه فى مقال؟ قال لى: أنا راجل تاجر وعارف كم يستحق هذا المقال، ولم أستطع أن أقاوم الإغراء.. ماذا أقول فى هذا المقال وماذا أفعل وكيف أذهب إلى أندية ليلية؟ وسهّل هيكل المسألة فقال لى: لن تذهب وحدك سوف يذهب معك الفنان صلاح طاهر والدكتور يوسف إدريس.

وبالفعل ذهب الحكيم وجلس يشاهد ابنه إسماعيل يعزف فى مارس ١٩٧٠ فى حدائق الميريلاند بمصر الجديدة، وظل إسماعيل ممتنًا لتلك اللحظة وحكى عنها قبل وفاته قائلًا «بعد أن جاء والدى وجلس رآنى أعزف، وكنت خلال العزف أراقبه وأتأمله كانت الدموع تطفر من عينيه».

3
بخل مادى وعاطفى

الحقيقة أن الأمر كان جديدًا على إسماعيل الذى لم يرَ حتى تلك اللحظة، أى دعم من والده سواء كان ماديًا أو معنويًا، حيث ترك الحكيم الأب ابنه يمارس تمرده على طوعه على حسابه الخاص حيث يكمل الحكيم اجترار حكايته الحزينة مع ابنه وخذلانه له وكأنه يقسو على نفسه بتذكيرها تفاصيل الخذلان لعله يتطهر منه فيقول:

«أذكر على سبيل المثال أنه كان بحاجة لمبلغ ألف جنيه خلال ساعات قليلة لشراء آلة جديدة يريد أن يستخدمها طوال الموسم فى أحد الأماكن السياحية، فذهب لأمه يطلب منها المبلغ قبل أن يغلق المحل أبوابه بساعات قليلة، ولم يكن هذا المبلغ فى حوزة أمة التى حاولت الحصول عليه لكنها فشلت، وكتما الأمر لم يخبرانى به كان إسماعيل حزينًا للغاية وكذلك أمه، وقرر هو أن يعتذر عن عدم العزف طوال الموسم وذهب لينام بعد هذا القرار، كذلك ذهبت أمه حزينة إلى فراشها فأصيبت بشلل أقعدها عن الحركة وظلت هكذا حتى مات، وعندما أخبرونى بهذه القصة كان الوقت قد مر والفرصة قد ذهبت، فعاتبت إسماعيل وقلت له: إنه لو سألنى رأيى لكنت قد أفدته، وسألته: لماذا لم يطلب من صاحب المكان السياحى أن يعطيه هذا المبلغ ثم يخصمه من أجره أو يأخذ الآله من المحل ويدفع له بعد أن يقبض أجره خاصة أن صاحب هذا المحل كان يدين له بكل ما حققه من مكسب ونجاح، المهم عاتبته بعد فوات الأوان».

وقصة أخرى أذكرها وهى أن إسماعيل مر بقصة حب عنيفة وحين صارح أمه بما يكن لفتاته من حب وعن رغبته فى الزواج منها، فوافقت بشرط أن يعيش فى الحجرة المجاورة لها ووافق لأنه هو أيضًا لم يقو على البعد عنها، وفعلًا تزوج من فتاته وعاش فى المنزل، لكن أسرة الفتاة كانت تعمل بالتجارة ولا تقدر مهنة الفنان هذه ولا تعرف القيمة الفنية للموسيقى فى حياتنا، لذلك ظلت تقنع الفتاة بأن تتخلى عن هذا الزواج حتى بعد أن تزوجت، وبالفعل نجحت فى ذلك وانفصل الزوجان، وكانت هذه ضربة قوية له لحبه الشديد لها، وتزوج بأخرى بعدما ظلت معه حتى مات.

الغريب هنا فى حكاية الحكيم خاصة فيما يخص تلك الآلة الجديدة التى كان يريد إسماعيل شراءها أن الحكيم عندما عرف ولامه أنه لم يخبره لم يطرح حلًا أن يمنحه ثمنها «الألف جنيه» لكن حله الذى كان يريد أن يشير عليه به أن يتحدث مع صاحب المكان السياحى الذى يعزف فيه مع فرقته الموسيقية أن يمنحه المبلغ ثم يخصمه بالتقسيط من أجره.

بالتأكيد لم يكن إسماعيل الحكيم الشاب المتمرد الذى يريد أن يطرح لونه الموسيقى الجديد المختلف عن الشائع سعيدًا بموقف الأب المفكر الكبير منه.. والأمر كان أكثر من فكرة الماديات التى كان الحكيم شحيحًا فيها للغاية.. لكن الشح العاطفى الذى قاسى منه الابن

> قصة الصورة الوحيدة التى جمعت الأب بابنه بعد حضور حفله مع يوسف إدريس وصلاح طاهر

> فشل محاولات هيكل فى دفع الحكيم لاستعادة ابنه الموهوب

إسماعيل كان أشد وطأة خاصة فى مرحلة التكوين الفنى الأولى التى يجرب فيها مواهبه ويبدأ فيها مشروعه الموسيقى الذى كان باعتراف الحكيم نفسه قابلًا للتطور والبناء عليه.

لكن يبدو أن كل الرياح لم تأت بما تشتهيه سفن إسماعيل الحكيم صاحب فرقة «بلاك كوتس» وواجه الشاب الحالم تغير نوعية الجمهور الذى كان يريده، حيث طغت طبيعة جمهور شارع الهرم بما يحمله من روح السبعينيات الغارقة فى الانفتاح على كل شىء بما فيه الفن الردىء، وهو ما أصاب إسماعيل بالإحباط ويحكى الحكيم نفسه عن تلك الفترة البغيضة فى حياة ولده بالنص: «كان إسماعيل يخرج مدينًا للمحل الذى يعمل فيه، كان يسدد حساب موائد احتلها من يزعمون أنهم معارف وأصدقاء، ولم أعرف له عدوًا ولم أسمع منه كلمة سوء حتى فيمن أساء إليه، ولم يكن راضيًا عن نفسه ولا عن عمله، وأشد ما كان يؤلمه أن يرى نوعية الجماهير التى كانت تسمع موسيقاه، قد تغيرت وأن جماهير شارع الهرم وملاهيه قد طغت على كل شىء فى كل مكان، فترك فرقته تعمل بدونه وتأخذ هى الأجر وتترك له القليل الذى تسمح به، ولا يسمح هو لنفسه أن يعزف لجمهور لا يهتم بالموسيقى بقدر ما يهمه السهر والهزر».

4
إدراك متأخر بالذنب

يحكى الحكيم موقفًا فى غاية الصعوبة والدلالة على شدة احتياج إسماعيل لأبيه، فعندما مرض إسماعيل وتدهورت حالته مع رفضه المستمر رؤية الأطباء، رضخ أخيرًا وسافر للعلاج وعندما عاد أخذه الحكيم فى حضنه ووجده بعد ذلك يقول بفرحة لكل من يلتقى به «أبويا حضنى.. أبويا حضنى» وأحس الحكيم حينها أنه لم يعرف أبدًا حنانه، ولعله أدرك حينها شدة الجرم الذى ارتكبه فى حق ابنه الموهوب وراح يقترب منه ويشبعه بعد ما اكتشف أن عقله يحوى الكثير من المعرفة والخبرة والتجربة.

حاول الحكيم أن يستدرك تقصيره فى حق موهبة ابنه التى أضاعها بإهماله بأن حاول دفعه وهو على سرير المرض أن يؤلف كتابًا عن موسيقى الجاز التى عشقها وبرع فيها.. وتحت إلحاح الأب شرع فعلًا إسماعيل فى تأليف هذا الكتاب، لكنه بعد صفحات قليلة ألقى ما كتب ولم يكمل .. ولعله شعر بدنو الأجل فما حاجته إذن لتأليف كتاب وهو يرى الموت يدق على بابه بإلحاح.

ويقول الحكيم عن ذلك «كنت ألاحظ خلال مناقشاته شعوره بالله الذى لا يمكن تجسيده بكلمات، كان يحدثنى عنه كأنه نور يخترق كيانه، وكنا أحيانًا نسمع صيحة فى أعماق الليل تنادى: الله من حجرته المغلقة، ومع ذلك كان كثير الصمت ويخيل إلينا أحيانًا أنه يعيش بعيدًا عنا فى عالم مجهول مكشوف له وحده».

وبالفعل ذهب إسماعيل الحكيم سنة ١٩٧٨ وانتهى معه مشروعه الموسيقى الحالم الذى ربما لو كان امتلك العمر والدعم من الوالد لكان فى مكانة تكافئ أسماء كبيرة فى عالم الموسيقى بدأت معه واستمرت فى تطوير مشروعاتها الفنية عبر العقود التالية حتى صارت قممًا مثل عمر خيرت وهانى شنودة.

5
ندم بعد فوات الأوان

وبقى توفيق الحكيم يفترسه الندم فيما بقى من سنوات عمره وهو يتذكر مواقفه مع ابنه إسماعيل فيقول فى إحدى رسائله «إننى كلما خلوت إلى نفسى أتأمل صورتك فى حجرتى ولا أستطيع البكاء، اغفر لى يا إسماعيل، أن شهر وفاتك- أكتوبر- كلما اقترب تزداد همومى ويزداد شعورى بالأسى والحزن يعتصرنى، وكلما جاء يوم ذكراك تفيض الدموع ولكنها تتجمد قبل نزولها وأذهل عن نفسى والدنيا وما فيها حتى يجىء يوم ميلادك ٢٤ مارس، وأكون سعيدًا حينما يتذكره إخوتك، كان بودى أن أحتفل بهذا اليوم معك ولكنك ذهبت ولم يبقَ منك إلا صورتك وأوراقك أعيد قراءتها لأعيش معك أفكارك.. وأنظر إلى صورتك وأناجى ربى وأتحدث إليه، رب لمَ تجعلنى أشهد رحيل الابن والأم، ربما بقائى فى هذه الدنيا كل هذا العمر بعد ما فقدت أحبابى، أعلن أن لك حكمة لم أكن أدركها حتى بينتها لى، لقد جعلتنى أعيش كل هذا العمر من أجل ابنتى زينب، فمن لها بعد رحيل أمها وأخيها وزوجها، اللهم رضيت بحكمتك وسجدت لقدرتك».

الحكمدار

سر عبدالباسط حمودة

يُقال عنه حكمدار الأغنية الشعبية، ويسمّى نفسه «وحش الأغنية» على طريقة فريد شوقى «وحش الشاشة»، يعتز بنفسه وصوته، وفى لقاءاته وجلساته حين يتحدث عن الأصوات وباقى المطربين أيًا كانوا، تشعر وكأنه لا يرى إلا نفسه، هو نفسه لا يعترف أن هناك مطربًا جاء على وجه الأرض ينافسه فى مساحات صوته، لم يقر ولو لحظة بعكس ذلك. سأله مرة أحد المحاورين: هل أنت مغرور؟.. فأجاب ببساطة: «الغرور هو الهبوط.. لكن قل لى أنت: مين يقدر علىّ؟»، ثم غنّى واحدة من أجمل أغانيه: «اللى يزعل يزعل.. أنا مش مسئول عن حد».

باختصار، هذا هو عبدالباسط حمودة، واحد من نجوم الأغنية الشعبية فى مصر، فإذا أردنا أن نعدّد نجومها ونقول: محمد عبدالمطلب، ومحمود شكوكو وعبدالعزيز محمود ومحمد طه وشفيق جلال والريس متقال ومحمد رشدى وشريفة فاضل وغيرهم، سيكون عبدالباسط أول اسم يتبادر إلى ذهنك ضمن قائمة طويلة جاءت بعد هذه الأسماء الكبيرة، لترث عرش الأغنية الشعبية، مع أحمد عدوية وحسن الأسمر وكتكوت الأمير وشعبان عبدالرحيم، وعبدالباسط بالفعل ينتمى إلى هؤلاء، فهم نفس جيله ونفس همومه ونفس طريقته ولونه وأدائه، وكان منافسهم الأول فى الفنادق والكازينوهات فى فترة الثمانينيات والتسعينيات، وإن كان عدوية يسبق هذا الجيل فى الانتشار والنجاح الإعلامى بسنوات ضوئية، لكن خرج عدوية وزملاؤه من الساحة، وظل عبدالباسط حمودة متربعًا على عرش الأغنية الشعبية حتى الآن رغم صعود أجيال جديدة بأفكار جريئة ومختلفة على مستوى الكلمة واللحن وحتى الأدوات الموسيقية، وأحدثت نقلة حقيقية فى إيقاع الأغنية الشعبية، لكن تهاوت جميعًا واختفت فجأة كما ظهرت، وبقى عبدالباسط كما هو من فترة لأخرى، يعود إلى المشهد كمعلم كبير، ليعطى درسًا ويذكّر هؤلاء بأن «الأغنية الشعبية لها أصول» كما يقول، وأنها لن تتراجع أمام هذه الظواهر الغنائية و«التنطيط والتخبيط»، على حد تعبيره، فهو يعرّف الأغنية الشعبية تعريفًا بسيطًا بالغ الدلالة.. وهى أنها: «كلام ولاد البلد اللى يسلْطن».

فمن هو عبدالباسط حمودة.. وكيف نشأ؟ ومن الذى اكتشفه؟ وكيف يختار كلمات أغانيه وهو لا يقرأ ولا يكتب؟ وكيف جرؤ على تعديل لحن أهداه بليغ حمدى له؟.. ولماذا يعتبر نفسه أنجح مطرب شعبى فى تاريخ مصر؟.. ولماذا قال: السمّيعة خلاص ماتوا؟!.

محمد ثابت

1 مداح للنبى فى الطفولة.. والانطلاقة على يد شقيقه جلال

أصوله تعود إلى قرية هورين بمركز بركة السبع بالمنوفية، لكنه عاش وتربى فى منطقة الدرب الأحمر بالقاهرة، هذه المنطقة التاريخية العريقة التى شهدت نشأة أعلام الفن المصرى مثل بديع خيرى ومحمود المليجى ومحمود شكوكو وشفيق جلال، ونوابغ تلاوة القرآن كالشيخ محمد رفعت والشيخ عبدالفتاح الشعشاعى، وكان لمنطقة الدرب الأحمر الفضل الأول على الطفل عبدالباسط حمودة الذى عاش بين سلاطين الغناء والتلاوة والإنشاد، فكان والده مدّاحًا فى منطقة الحسين، ورث عنه الموهبة وأصول الشغلانة، وعمل لفترة طويلة مع والده وأعمامه كمدّاح للنبى منذ الطفولة، حتى صادف المطرب الشعبى شفيق جلال، الذى أخذه من يده إلى شارع محمد على ليتعرف هناك على أسطوات الغناء الشعبى مثل أنور العسكرى الذى يعتبره عبدالباسط حمودة أستاذه الأول.

قال «حمودة»: «كنت قاعد بغنى وأنا عيل عندى ١٢ سنة كده فى شارعنا، فشافنى شفيق جلال، وعم شفيق ابن حتتنا من بيت العزاوى فى الدرب الأحمر، فقاللى خد ياض تعالى إنت صوتك حلو، ووداني بقى شارع محمد على وشفت هناك عبدالمطلب وأنور العسكرى وعايدة الشاعر وليلى نظمى وكل النجوم اللى القلب يحبهم، هما دول اللى اكتشفونى وخلونى أتجه بقى للغناء وآخد السكة دى واتعلمت منهم أصول الغناء».

ظل عبدالباسط لسنوات يغنى فى شارع محمد على، ثم بدأ مشواره فى عالم الأفراح والكازينوهات وأصبح أحد أعلامها مع عدوية وكتكوت الأمير وحسن الأسمر وأشرف المصرى ومحمود سعد وشعبان عبدالرحيم، وكان يغنى لكبار المطربين مثل شفيق جلال، وأنور العسكرى ومحمد عبدالمطلب ومحمد طه ومحمد قنديل وأغانى أم كلثوم، حتى جاءه الحاج عمر إبراهيم صاحب شركة صوت الطرب، وأنتج له أول ألبوم «بين القصرين»، والذى تعاون فيه مع عدد من الشعراء مثل سمير الطائر، وأمل الطائر، وملحنين كمهدى خميس وعبدالسلام حنفى، وأحدث الألبوم نقلة فى مشوار عبدالباسط حمودة، الذى تحول إلى نجم له اسمه فى عالم الطرب.

كان اسم عبدالباسط معروفًا قبل هذا الألبوم، حيث شارك بالغناء فى فيلم «أرزاق يا دنيا» مع نور الشريف، وهو تأليف وحيد حامد وإخراج نادر جلال، واختاره نادر جلال ككومبارس يردد ككورال وراء سعيد صالح فى مشهد غناء بأحد الكباريهات، لكن أضاف له نور الشريف مشهدًا يظهر فيه خلال أحداث الفيلم وهو يسرق تسجيلًا من إحدى السيارات.

تألق نجم عبدالباسط بعد هذا الألبوم، وكان على الجانب الآخر ينافسه شعبان عبدالرحيم بأغنية «كداب يا خيشة»، التى كانت بلغة اليوم «ترند» مصر، وكذلك حسن الأسمر بأغنيته «عليل أنا يا تمر حنة»، لكن واصل عبدالباسط نجاحه بأغانٍ رائجة كان يصدرها كل عام مثل «مولد يا دنيا» و«حقك عليا» و«آه من الزمان» و«قدرى».. واشتعلت المنافسة مع ظهور مطربين آخرين مع مرور الوقت، كمجدى طلعت صاحب أغنية «اللى عايزنى يجينى» ومجدى الشربينى وأشهر أغنياته «المسامح كريم» و«أهل الغرام» ورمضان البرنس، لكن اختفى الجميع، خصوصًا الأخير الذى توفى فجأة سنة ١٩٩٨ إثر حادث سيارة مع عائلته.

وفى التسعينيات بدأت موجة جديدة من الغناء الشعبى تجمع بين مدرسة عدوية، ومدرسة حميد الشاعرى، وكان على حميدة هو المطرب الذى أطلق حميد الشاعرى من خلاله هذه الموجة الجديدة بأغنية «لولاكى» التى استعان فيها بالفلكلور البدوى، وانطلق بعدها عدد من المطربين الشعبيين الذين بزغ نجمهم فى هذه الفترة كحكيم، وظل عبدالباسط كما هو، واثقًا بنفسه، لا يهزه أحد، يعمل بدأب، يختار الكلمة واللحن بعناية تامة، فهو يعرف جمهوره، وجمهوره يعرفه وينتظره.

وعبر هذه الرحلة الطويلة من المنافسة، ومن ظهروا ومن اختفوا، قال عبدالباسط عن نفسه، إنه نموذج يُدرَّس فى النجاح، فتعريف النجاح بالنسبة له هو «الاستمرار»، يقول: «النجاح هو الاستمرارية.. مش أعمل أغنية فى دقيقتين وتنجح وبعدين مظهرش تانى».

2 كيف يختار أغنياته رغم أنه لا يقرأ ولا يكتب؟

كلمات مثل: «ياللى إنت معاك المال والأيام ضحكتلك.. والدنيا رضيت عليك والكترة إدتلك.. حاسب من الأيام الدنيا مش دايمة.. لو كانت دامت لغيرك مكانتش وصلتلك»، أو كلمات مثل «يا دنيا طفيتى شمعى.. يا ناس كترتوا دمعى.. والعمر راح هدر.. كتبت الآه بألمى.. كسرتوا سن قلمى.. وبرضو بأقول قدر»، هذه الكلمات وغيرها، لا تحتاج إلى شخص يقرأ ويكتب ليختارها، فعبدالباسط عندما سُئل لماذا لم يتعلم القراءة والكتابة؟.. أجاب ببساطة: «مكانش عندى وقت.. ومحاولتش أتعلم لأنى بمِل بسرعة، وكمان مش محتاج أتعلم لأن الدنيا علمتنى اللى أحسن من القراية والكتابة»، وهنا يمكن أن نقول إن خبرة عبدالباسط فى الحياة جعلت منه فنانًا بارعًا، يعرف أى كلمة يمكن أن تصل للجمهور مباشرة، فعندما كان يلقى عليه أى شاعر كلمات أغنية جديدة، كان يقبلها فورًا إذا تفاعل معها، ويؤكد عبدالباسط ذلك فى أحد حواراته: «الشاعر أمل الطائر كلمته، قلتله يلا بينا يا أمل نروح نقعدلنا فى إسكندرية يومين، وإحنا قاعدين على البحر، قلتله ما تسمعنى كده حاجة عاوز أرجع للناس.. فسمعنى أغنية أنا مش عارفنى.. ففورًا بعتها للملحن ونفذناها.. لأنها طالما لمستنى واقتنعت بيها يبقى لازم الناس هتحبها لأنى واحد منهم وشبههم».

ببساطة هذه فلسفة عبدالباسط حمودة فى اختيار الأغنية، فقد يغيب سنوات بدون جديد لأنه لم يجد الأغنية التى اقتنع بها، وهو ما يفسر قلة أعماله مع بداية الألفينيات، حتى عاد بقنبلة «أنا مش عارفنى»، التى استثمر نجاحها أحمد السبكى فى فيلم «الفرح» وأصبحت بمثابة نشيد وطنى فى كل مكان فى مصر عام ٢٠٠٩.

3 بعرور والحسينى وأوكا وأورتيجا يهددون عرشه مطلع الألفينيات

توارى اسم عبدالباسط حمودة فى مطلع الألفينيات مع ظهور موجة جديدة من الغناء الشعبى على يد صاحب أغنية «العنب» عماد بعرور، ثم محمود الحسينى وسعد الصغير وغيرهم، وبكل تأكيد أزاحته هذه الموجة قليلًا، لكن كما قلنا سابقًا إنه يعود كمعلم كبير بنفس أدائه وحضوره وكاريزمته الخاصة ليفرض نفسه على المشهد، وهو ما حدث مع أغنية «أنا مش عارفنى»، ثم ألبوم «سلفنى ضحكتك» فى ٢٠١٠، والذى حقق نجاحًا مدويًا بكل أغانيه.

وربما هذه المراحل المتنوعة من مشوار عبدالباسط حمودة، وتغلبه على كل التغيرات التى طرأت على الموسيقى والمجتمع وذوق الجمهور نفسه، هى ما تجعله واثقًا بنفسه الآن، بل وتزيده هذه الحالة إصرارًا وإيمانًا على أن الأغنية الشعبية القديمة التى يؤمن بها، لا يمكن الاستغناء عنها، وهو يفسر بقاءه حتى الآن بقوله: «أنا زى الجبنة القديمة اللى زى المورتة دى.. كل ما بتقدم تحلو».

لكن فى نفس الوقت لم يتجمد الحكمدار عند اللون الشعبى لجيله، بل كان أكثر مرونة بعد ثورة يناير مع ظهور لون جديد من الغناء الشعبى وهو المهرجانات، فتفاعل معها، وقدم مجموعة من الدويتوهات مع أكثر من مغنى مهرجانات مثل المغنى «مسلم» و«عمر كمال» وكان دائم الظهور مع نجوم هذا اللون الغنائى الجديد.. كأب روحى لهم، فاستفاد منهم وأصبح ضمن دائرة الانتباه التى يستحوذ عليها هؤلاء المهرجاناتية من الجمهور، هذا بالإضافة إلى دويتوهات مع مطربين آخرين متنوعين بدأها بمشاركة فريق كايروكى فى أغنية «غريب فى بلاد غريبة» فى ٢٠١٤، ثم دويتو مع نيكول سابا وأحمد سعد، ودنيا سمير غانم، وانتهاءً بدويتو مع كريم محمود عبدالعزيز، ومشاركته الأخيرة فى أغنية «سطلانة» مع محمود الليثى وحمدى باتشان التى حققت حتى كتابة هذه السطور أكثر من ١٢٠ مليون مشاهدة على يوتيوب.

4 عاقب أم عياله بالزواج عليها لأنها مبتسمعش كلامه

المعلومات عمومًا عن عبدالباسط حمودة قليلة، وحتى فى كل حواراته التليفزيونية لا يمهله أى محاور ليتكلم عن نفسه، فإما يقاطعونه ليسألوه عن رأيه فى المهرجانات والمطربين الآخرين، أو يقولون له «يلّا سمعنا حاجة»، ومع ذلك فهو ولد فى ٢١ فبراير سنة ١٩٦٠، ولديه خمسة أبناء، هم: رامى وماجد وكريم وهدير ونارىمان، وكريم ورامى وهدير يغنون، لكنه يرفض غناء هدير فى الأفراح والكازينوهات، يقول: «لا بنتى متغنيش فى الحاجات دى، أنا مخليها ماسكة شغلى على السوشيال ميديا وبتغنى على الضيق، ومبحبش إنها تخش وسط شغلانتنا وتشوف الحاجات الوحشة اللى أنا شفتها».

وتزوج عبدالباسط من أم أبنائه منذ ٤٠ عامًا، وعاشت معه أيام الفقر، وكانا يتقاسمان لقمة العيش وكوب الماء وينامان معًا على حصيرة، ويتذكر حمودة هذه الأيام الصعبة: «أنا الست دى خيرها عليا، أنا وهى كنا بنسقّى العيش فى الميه ومش لاقيين ناكل، واستحملت معايا ووقفت جنبى علشان كده عمرى ما أزعلها»، لكنه اعترف بأنه تزوج عليها لمدة شهر بسبب غضبه منها، قائلًا: «كانت ساعات بتضايقنى ومبتسمعش كلامى، فقلت والله لأتجوز عليها وحصل.. بس ندمت لأنى عمرى ما هلاقى زيها».

ويسكن عبدالباسط حاليًا فى شقة بحدائق القبة، ولا يضع أمواله فى البنوك، فكل ما يملك داخل منزله، ومن هواياته شراء الذهب والفضيات.

وحكى عبدالباسط عن علاقته بوالده قائلًا: «أبويا كان مداح وورثت منه حب المدح والمواويل.. بس كان قاسى، مرة ضرب واحد بالشومة على راسه، فرُحنا القسم وبعدها المحكمة، فالقاضى سألنى، فشهدت عليه، وقلت آه أبويا اللى ضربه، وساعتها القاضى طلع أبويا براءة وخلاه يتصالح مع الراجل عشان خاطرى وقاله: هطلعك براءة عشان خاطر ابنك الغلبان اللى شهد بالحق ده، وساعتها أبويا طردنى من البيت يومها عشان شهدت عليه».

وعلاقة عبدالباسط بأشقائه غير طيبة، يعتبرهم حاقدين عليه، وله شقيقة لم يتكلم معها منذ أكثر من ٣٨ عامًا، وعندما سُئل عن السبب قال: «بتخلى عيالها يشتمونى وطمعانين فيا.. والبيوت أسرار مش هقول أكتر من كده».

وما لا يعرفه كثيرون عن عبدالباسط أنه عصبى، لدرجة وصلت أنه ضرب أحد المطربين فى أحد الأفراح لأنه غنى أغنية له بطريقة لم تعجبه.

5 طلقات ضد نجوم الغناء والمهرجانات

قيّم عبدالباسط حمودة نجوم الغناء فى مصر، فهو كما يراهم جميعًا فى منطقة أدنى منه، بداية من عمرو دياب وحتى حمو بيكا، فقد أعطى الأخير درجة صفر من عشرة كمطرب، وقال عن عمرو دياب: «ده أنا أبوه.. مكنش يشوفنى إلا ويجرى عليا ويقولى غير يا بابا.. لأن اسمه الحقيقى عمرو عبدالباسط»، كما أعطى محمود الليثى ٧ درجات من عشرة، وسمسم شهاب خمس درجات، وعمر كمال ٥ درجات، ويرى أن أحمد عدوية وشيبة لم يصلا لحجم موهبته وقوة صوته، ويعتبر أن حكيم هو المطرب الوحيد الذى يسلطنه حاليًا، قائلًا: «يا أبوى على أبو محمد، أبو محمد ده فى حتة تانية، لما أحب أتسلطن أسمعه.. ده فوق التقييم».

كما قيّم عبدالباسط بليغ حمدى وقال إنه موسيقار عبقرى لحن له أغنيتين هما: «يا عينى على رقتك» و«ياللى ماشى بتتمخطر»، لكن قام بالتعديل على اللحنين لأن بعض الوقفات لم تعجبه.

أما عن رأيه فى المهرجانات فهو يقول إنها مجرد «تقليعة» وستنتهى، وستبقى الأغنية الشعبية، قائلًا: «الحاجات اللى زى المهرجانات دى بتنجح كده لأن السمّيعة خلاص ماتوا، بس الأغنية بتاعتنا، والكلمة بتاعت ولاد البلد هتفضل عايشة وليها مكانها، لأن هو ده تراثنا».

عندما سمعه شقيقه جلال وعمره 12 سنة قال له: «خد ياض تعالى.. إنت صوتك حلو»

قال عن عمرو دياب: «إن أبوه كل ما يشوفنى يجرى عليا ويقولى يا بابا»

فى كتابه «Reasons to Stay Alive» «أسباب للبقاء حيًا»، اختصر الكاتب والصحفى والروائى البريطانى «مات هيج» دوافع الأشخاص للكتابة أو القراءة، فى جملتين قصيرتين: «كيف تسافر عبر الزمن: اقرأ... كيف تشعر بالوقت: اكتب»، وكل قارئ أو كاتب له أسبابه التى تتراوح من العملية البحتة إلى شديدة السمو، لكنها نابعة فى معظم الأحيان من الاستمتاع أو الهروب والاسترخاء وقضاء وقت هادئ أو اكتشاف المعلومات واكتساب المعرفة ومتعة مواجهة التحديات العقلية.

وفى حين تقدر منظمة اليونسكو التى تعد مصدرًا رئيسيًا للمعلومات المتعلقة بنشر الإحصاءات، أنه يتم نشر ما يقرب من 2.2 مليون كتاب جديد كل عام حول العالم، فإن إدارة أبحاث «Statista» أكدت فى تقريرها لعام 2023، أن الهند وتايلاند والصين والفلبين ومصر تحتل المراكز الخمسة الأولى فى متوسط الكتب المقروءة سنويًا، والوقت الذى تقضيه شعوبها فى القراءة.

وتأتى مصر فى المرتبة الخامسة عالميًا بمعدل قراءة لمدة 7 ساعات و30 دقيقة أسبوعيًا، ولأننا أمة تقدس القراءة إلى تلك الدرجة، كان من الجيد أن تطرح «الدستور» أبرز الإصدارات العالمية الجديدة:

هالة أمين

جرائم الغرب ضد العرب من واقع «وثائق سرى جدًا»

1 «أن تصبح مؤيدًا للفلسطينيين: شهادات لحركة التضامن العالمية»

بريطانيا

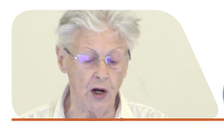

C.V

روزمارى صايغ

ولدت الصحفية والباحثة روزمارى صايغ عام ١٩٢٧ فى المملكة المتحدة باسم روزمارى بوكسر، وهى الأخت الكبرى لمارك بوكسر، صحفى بريطانى.

روزمارى صايغ متخصصة فى تاريخ الشرق الأوسط، معروفة بأعمالها المتعلقة بالشعب الفلسطينى، وخاصة المهجرين قسرًا إلى لبنان نتيجة النكبة، تخرجت فى جامعة أكسفورد بدرجة البكالوريوس فى اللغة الإنجليزية وآدابها عام ١٩٤٨، وحصلت على درجة الماجستير فى علم الاجتماع والأنثروبولوجيا من الجامعة الأمريكية فى بيروت، وحصلت «صايغ» على درجة الدكتوراه من جامعة هال عام ١٩٩٤، وهى متزوجة من يوسف صايغ اقتصادى فلسطينى.

فى وقت تشتد فيه الحاجة إلى مثل تلك الكتب التى تنير بصيرة العالم فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية وحقيقة التزييف الذى يمارسه الكيان الإسرائيلى والغرب، يصدر الكتاب البريطانى «Becoming Pro-Palestinian: Testimonies from the Global Solidarity Movement» «أن تصبح مؤيدًا للفلسطينيين: شهادات لحركة التضامن العالمية» ٢٢ فبراير المقبل.

الكتاب من إصدارات دار «آى بى توريس» ومقرها لندن، ومكون من ٢٦٤ صفحة، وتأليف الباحثة والصحفية البريطانية روزمارى صايغ، ويجمع شهادات من أشخاص من جنسيات ومهن مختلفة «مؤيدين للفلسطينيين»، سواء كانوا باحثين أو صانعى أفلام أو فنانين أو موسيقيين أو نشطاء أو عاملين فى المنظمات غير الحكومية.

ومن خلال الكتاب، تدعو الباحثة الشهيرة روزمارى صايغ مساهميها إلى وصف التجارب والأحداث والدوافع والمشاعر التى دفعتهم إلى دعم القضية الفلسطينية.

ويعد الكتاب الأول من نوعه فى سرد ما يواجهه المؤيد للفلسطينيين والقضية الفلسطينية، ويتضمن أصواتًا من دول حول العالم، رغم ما يعانونه من جهرهم بتأييدهم العلنى للفلسطينيين.

وخصصت الباحثة فصلًا لكل دولة، وطلبت من المساهمين الكشف عن كيفية «اكتشافهم» لفلسطين- نظرًا لأن فلسطين نادرًا ما تُذكر فى الكتب المدرسية أو الدورات الجامعية فى دولهم بالغرب- سواء عن طريق السفر أو الصداقة أو الدراسة أو العضوية فى حزب سياسى أو مجموعة كتب. وطلبت مؤلفة الكتاب منهم أيضًا تفصيل الأشكال المحددة التى اتخذتها مشاركتهم- سواء كانت علمية أو إبداعية أو نضالية أو خيرية- وما هى آمالهم بالنسبة لحركة التضامن الدولية، ورصدت أيضًا بشكل أوسع تفكير كل مساهم رصدت تجربته فى كتابها، فيما إذا كان يشعر بإمكانية تحقيق حل عادل ومنصف للفلسطينيين.

ويرى النقاد أنه مع شهادات من ناشطين بارزين وناشطين شعبيين، يعد الكتاب مجموعة غنية وشخصية تعكس التنوع والديناميكية والطبيعة العالمية للحركة من أجل فلسطين.

ويؤكد المؤرخ الأمريكى مايكل ر. فيشباخ، أستاذ بكلية راندولف ماكون، الولايات المتحدة الأمريكية، أن هذه المجموعة من الشهادات التى يتضمنها كتاب «أن تصبح مؤيدًا للفلسطينيين: شهادات لحركة التضامن العالمية»، تأتى فى الوقت المناسب التى تشتد الحاجة إليها، مشيرًا إلى أنه يعرض قصصًا لعدد لا يحصى من الناشطين حول العالم الذين لا يعتبر مصطلح «مؤيد للفلسطينيين» مجرد صفة للهوية الشخصية ولكن أيضًا مسار حياة.

> الكتاب هو الأول من نوعه فى سرد ما يواجهه المؤيد للفلسطينيين

2 «فخ أخيل: صدام حسين، وكالة المخابرات المركزية، وأصل الغزو الأمريكى للعراق»

أمريكا

C.V

ستيف كول

هو مؤلف كتاب «حروب الأشباح» الحائز على جائزة بوليتزر وأستاذ وعميد فخرى لكلية الدراسات العليا للصحافة فى جامعة كولومبيا، ومن عام ٢٠٠٧ إلى عام ٢٠١٣ كان رئيسًا لمؤسسة أمريكا الجديدة، وهو معهد للسياسة العامة فى العاصمة الأمريكية واشنطن العاصمة، وهو كاتب فى صحف ومنصات إعلانية أمريكية شهيرة مثل نيويوركر وواشنطن بوست، وله تسعة كتب أخرى منها «صفقة العصر» و«الحصول على النفط» و«أسرار وكالة الاستخبارات الأمريكية» و«أسرة عربية فى الزمن الأمريكى»، وغيرها.

يصدر الكتاب الأمريكى «The Achilles Trap: Saddam Hussein, the C.I.A., and the Origins of America›s Invasion of Iraq» «فخ أخيل: صدام حسين، وكالة المخابرات الأمريكية، وأصل الغزو الأمريكى على العراق» ٢٧ فبراير المقبل، للكاتب الصحفى ستيف كول المؤلف الأكثر مبيعًا والحائز على جائزة بوليتزر، ومن إصدار دار النشر الرائدة «بنجوين».

يرصد الصحفى الأمريكى فى كتابه المكون من ٥٧٦ صفحة، نهاية العلاقة التى استمرت عقودًا بين الولايات المتحدة والرئيس العراقى الراحل صدام حسين، وكيف أدى الخطأ البشرى وسوء التواصل الثقافى والغطرسة إلى اندلاع أفدح الصراعات الجيوسياسية فى العصر الحديث.

«فخ أخيل» يفكك كل الملابسات التى أدت إلى حرب أمريكا الكارثية على العراق عام ٢٠٠٣ وإخفاقها فى إيجاد أسلحة دمار شامل بالعراق، حيث يقول المؤلف إنه عندما غزت الولايات المتحدة العراق فى عام ٢٠٠٣، كانت رسالتها واضحة: إن العراق، الذى كان تحت رئاسة صدام حسين، الذى يمتلك أسلحة الدمار الشامل، إذا تُرك دون رادع فإنه يشكل خطرًا جسيمًا على العالم.

ولكن عندما لم يتم العثور على أسلحة الدمار الشامل، اضطرت الولايات المتحدة وحلفاؤها إلى فحص الإخفاقات السياسية والاستخباراتية التى أدت إلى الغزو والاحتلال، والحرب الأهلية التى تلت ذلك، وظل سؤال واحد بلا إجابة: لماذا ضحى صدام بحكمه الطويل فى السلطة من خلال إعطاء انطباع زائف بأنه كان يخفى مخزونًا من الأسلحة الخطيرة؟

«فخ أخيل» يعرض للمرة الأولى، تفاصيل الحسابات الخاطئة الأساسية التى ارتكبتها أمريكا خلال علاقتها التى استمرت عقودًا مع صدام حسين، وذلك من خلال الاستعانة بالمصادر غير المنشورة والتى لم يتم التحدث عنها بشكل كاف، والمقابلات مع المشاركين فى الغزو الأمريكى الباقين على قيد الحياة.

كتاب «فخ أخيل» يصف أكاذيب الدبلوماسية، والغرور- على كلا الجانبين الأمريكى والعراقى- التى أدت إلى أخطاء كان يمكن تجنبها، ويقدم الكتاب فحصًا شاملًا للأحداث التى سبقت غزو العراق عام ٢٠٠٣، وحقيقة أن الغزو فى نهاية المطاف كان كارثيًا من خلال الكشف عن قدر كبير من المعلومات غير المألوفة فى كتب قدمت نفس الفكرة، وهى كارثية الغزو الأمريكى على العراق.

> ستيف كول يكشف توارث احتلال العراق وكذبة أسلحة الدمار الشامل

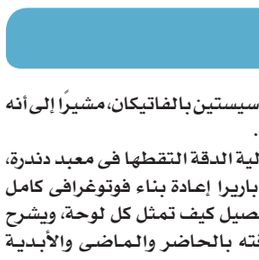

3 «دندرة، معبد الزمن: الحكمة السماوية لمصر القديمة»

C.V

خوسيه ماريا باريرا

مهندس برمجيات وتطبيقات، متخصص فى تمثيل البيانات واللغات، وفى العلوم والثقافة المصرية لأكثر من ٢٠ عامًا، وهو مصور فوتوغرافى وتم عرض أعماله فى صالات العرض فى شيكاغو ومدينة نيويورك، وبيعت فى مزادات سوثبى، وهو مولود فى كولومبيا، وحصل على درجة الماجستير فى علوم الكمبيوتر.

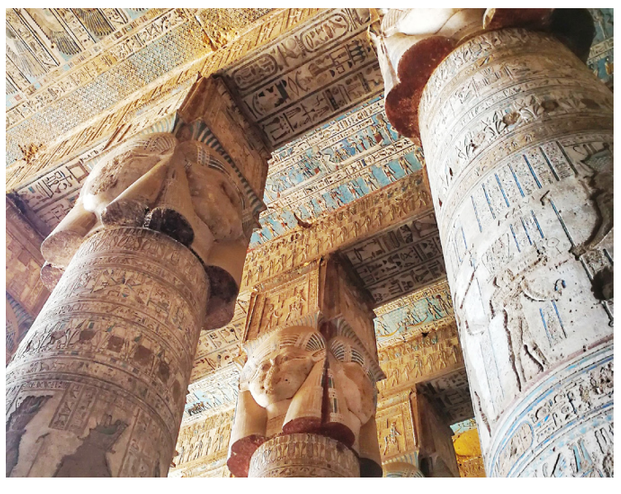

لا يأتى عام دون أن تصدر دور النشر العالمية كتبًا تتضمن قصصًا عن مصر فى جميع المجالات، ويصدر الكتاب الأمريكى «Dendera, Temple of Time: The Celestial Wisdom of Ancient Egypt» «دندرة، معبد الزمن: الحكمة السماوية لمصر القديمة» فى ١٦ يناير الجارى.

الكتاب من تأليف المهندس خوسيه ماريا باريرا، وتقديم بوب بريير عالم المصريات والأستاذ الجامعى الأمريكى وعالم الآثار وباحث الأنثروبولوجيا، وهو من إصدارات دار نشر «إنر ترادیشنز».

الكتاب يعتمد على أكثر من ٥٠٠٠ صورة عالية الدقة التقطها المؤلف لإعادة بناء السقف الكامل لرواق معبد حتحور فى دندرة، ويكشف بالتفصيل كيف تمثل كل لوحة الدورات الزمنية السماوية، من مرحلة الاعتدال إلى دورات الحياة السنوية الموجودة على طول نهر النيل، ويشرح الأهمية الفلكية لكل لوحة من المنظور المصرى القديم، بالإضافة إلى فحص الأساطير والآلهة والإلهات المصورة على الجدران.

ويقول المؤلف فى كتابه المكون من ٢٠٨ صفحات، إن مصر تشتهر بأهراماتها، وأبوالهول، ومعابد الأقصر، ووادى الملوك، ولكن على بعد ٤٠ ميلًا شمال الأقصر يقع مجمع المعابد الأفضل- من وجهة نظر الكاتب- فى مصر كلها، وهو معبد دندرة، ويوضح أن داخل الرواق المؤدى إلى معبد حتحور فى دندرة يوجد إنجاز بارز للبشرية غير معروف، وهو نقش غائر ملون واسع النطاق، وصفه بأنه أكبر من سقف كنيسة سيستين بالفاتيكان، مشيرًا إلى أنه مرسوم بدقة من قبل المصريين القدماء.

بالاعتماد على أكثر من ٥٠٠٠ صورة عالية الدقة التقطها فى معبد دندرة، يقدم المهندس والمصور خوسيه ماريا باريرا إعادة بناء فوتوغرافى كامل الألوان لسقف فى دندرة، ويكشف بالتفصيل كيف تمثل كل لوحة، ويشرح معنى تخطيط السقف من حيث علاقته بالحاضر والماضى والأبدية وساعات النهار، وأطوار القمر، والأبراج المستخدمة فى علم الفلك المصرى القديم والسنة الشمسية الكبرى.

ويقدم المؤلف تحليلًا مفصلًا لكل لوحة، بما فى ذلك الصور القريبة، ويتضمن أيضًا ملحقًا يستكشف معنى ورموز الأيقونات المصرية القديمة، ما يسمح للقارئ بتجربة التفاصيل الحية لهذا العمل الفنى والعلمى القديم، حيث إن هذا الاستكشاف الفوتوغرافى يعيد أيضًا خلق الإحساس بالرهبة الروحية والقوة التى يشعها معبد دندرة لزواره، سواء اليوم أو منذ آلاف السنين.

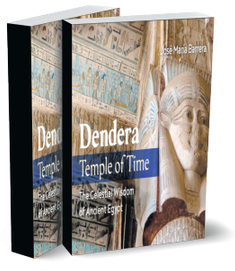

ماذا يقرأ الإسرائيليون الآن؟

على مدار عام 2023، كانت هناك اهتمامات مختلفة للقراء فى إسرائيل، وتنوعت اهتماماتهم فى اختيار الكتب بين الخيال والروايات، وكذلك الكتب التى تسرد أحداثًا حقيقية.

ومن بين عشرات الكتب التى صدرت فى إسرائيل خلال العام الماضى، اختار النقاد هناك عددًا من الكتب التى حازت إعجابهم وكونها الأكثر تأثيرًا خلال 2023، ونشرتها صحيفة «يسرائيل هيوم» الإسرائيلية. وشملت تلك القائمة مجموعة متنوعة من الكتب الإسرائيلية، نرصدها فى التقرير التالى، ونسرد مختصرًا عما ورد فيها.

سارة الشلقانى

1 مصنع السحاب

يسرد الكتاب قصة خيالية عن سيدة إسرائيلية تُدعى «ليلينبلوم»، اختفت ثلاثة أيام عن منزلها، وذهبت إلى الصحراء، ومع تطور الأحداث، ينتشر مقطع فيديو لتلك المرأة وهى تمسك مكنسة كهربائية تنثر بها الرمال كالسحب فتتحول إلى أمطار.

وبعدها، تقرر أرملة عجوز غنية استثمار ملايين الشواكل فى اختراع المكنسة الكهربائية التى تحول سحب الرمال إلى أمطار، ما يجعل «ليلينبلوم» تستغل تلك الأموال لتنشئ مصنعًا وتهدف إلى تطوير اختراعها فى ظل التكنولوجيا المتوافرة، خاصة أن أصحاب شركات التكنولوجيا الفائقة أبدوا اهتمامًا بالأمر ذاته.

وحسب النقاد الإسرائيليين، فإن المتعة التى وجدوها فى قراءة هذا الكتاب هو عدم فصل الخيال عن الواقع، حيث رأوا أن الكتاب يلقى الضوء على تغير المناخ وأهمية مواجهته، كما أنه يحتوى على المزيد من الأحداث الرائعة والمشوقة.

وصدر الكتاب فى يوليو ٢٠٢٣، وجاء فى قائمة الكتب التى يرشحها للقراء الإسرائيليين مع ختام العام.

كتاب «مصنع السحاب» للسيدة ليلينبلوم، هو الثانى للكاتب الإسرائيلى «إيدو جيفين»، بعد كتاب «شاطئ القدس».

وولد إيدو جيفين عام ١٩٩٢ فى إسرائيل، ويقيم حاليًا فى مدينة نيويورك.

2 غير مضىء

صدر الكتاب فى أكتوبر ٢٠٢٣، للكاتب الإسرائيلى «موتى فوجل»، ويمكن تصنيفه ضمن فئة الكتب الاجتماعية، حيث يتضمن الكتاب مجموعة من المقالات التى تتناول علاقة الإخوة ومراحل الطفولة والحياة فى المستوطنات الإسرائيلية والخروج منها. ويرى نقاد الأدب فى إسرائيل أن أسلوب الكتاب ذكى ومتعمق للغاية، خاصة أنه يأتى بعد مرور ١٢ عامًا من حادث مقتل «عائلة فوجل» من بين عائلة الكاتب- فى الضفة الغربية، كما أنه صدر بالتزامن مع هجوم الفصائل الفلسطينية فى ٧ أكتوبر الماضى.

وأطلق فوجل على كتابه اسم «غير مضىء»، رغبة منه فى الابتعاد قليلًا عن السبب الشخصى لمضمون الكتاب، والنظر إلى الأشياء من زاوية أوسع، قائلًا، حسب موقع «والا» الإسرائيلى، إن الأحداث الصعبة والمؤلمة، التى حلت بهم بعد هجوم ٧ أكتوبر جعلته يشعر بارتباط وثيق ومباشر بمضمون الكتاب، الذى يصف فيه تجاربه وشقيقه.

ويسرد فوجل فى الكتاب حكايات عن المستوطنة التى نشأوا فيها، وظروف المعيشة داخلها وطراز المنازل والشوارع، والمغامرات التى عاشها مع شقيقه. نشأ فوجل فى بيت يهودى دينى فى مستوطنتى «بنى براك» و«نيفى تسوف»، ودرس الفلسفة فى الجامعة العبرية، بالإضافة إلى دراسة الترجمة الثقافية ودراسات تحرير اللغة فى جامعة «بار إيلان». عمل مراسلًا ومحررًا فى عدد من الصحف، منها صحف خاصة بالشأن الاقتصادى، ومنذ عام ٢٠١٣ بدأ فى كتابة المراجعات الأدبية، كما ينظم الآن ورش عمل للقراءة والكتابة.

3 أطلقت النار فى أمريكا

يحكى الكتاب، الصادر فى مايو ٢٠٢٣ للكاتبة الإسرائيلية «تهيلا حكيمى»، عن فتاة إسرائيلية انتقلت إلى الولايات المتحدة عازمة على ترك الماضى والبحث عن مكان لها فى العمل والحياة من جديد. ويسرد قصة الهجرة والتكيف مع ثقافة جديدة، ما يكشف عن زاوية مختلفة فى الحياة تظهر عند احتكاك الفتاة بزملائها فى العمل والذهاب معهم فى رحلات ومغامرات وطقوس اجتماعية جديدة. وتصنف التقارير الإسرائيلية الكتاب بأنه يتناول الحياة العملية والتغييرات التى تدفع فيها المرأة ثمنًا مضاعفًا، ويتساءل عما إذا كان من الممكن حقًا التحرر من التوقعات والقيود الاجتماعية؟

ويعد الكتاب مثيرًا للاهتمام، حيث يتطرق إلى العنف الموجود فى المجتمع الإسرائيلى، كما هو الحال فى المجتمع الأمريكى، وربما يكمن فى روح كل شخص، حيث يصف علاقات البشر مع الآخرين ومع الطبيعة ومع أنفسهم. يعد كتاب «أطلقت النار فى أمريكا» هو الخامس للكاتبة والشاعرة الإسرائيلية «تهيلا حكيمى»، التى ولدت فى فبراير ١٩٨٢ فى إسرائيل.

4 قلب مشتاق «قلب جائع»

يتحدث الكتاب عن الأسرار والأكاذيب داخل الأسرة، والاضطرابات والاختبارات فى صداقة طويلة الأمد، ويجسد المشاعر غير المرئية، التى تطفو عندما يتقرب الأشخاص من بعضهم البعض.

تدور أحداث القصة حول رجل يرافق والده فى حفل، وفى الوقت ذاته تكشف إحدى السيدات عن أن ابنها تعرض لشىء لم يكن من المفترض أن يراه، وتبدأ الأحداث تأخذ منعطفًا جديدًا، وتصل إلى أنه خلال إحدى المظاهرات فى القدس، تلتقى امرأة الشخص الذى تشتاق إلى مقابلته.

ويجسد أبطال رواية «قلب مشتاق» أن قلوبهم تتعلق دائمًا بالمخاطرة والمغامرة والسفر، وأيضًا بما هو مألوف ودافئ وآمن.

صدر الكتاب فى سبتمبر ٢٠٢٣ للكاتب الإسرائيلى المعروف «أشكول نيفو»، والذى ترجمت أعماله لنحو ١٤ لغة، وحاز جوائز أدبية، سواء إسرائيلية أو غير ذلك.

ولد أشكول نيفو فى مارس ١٩٧١ بإسرائيل، وهو حفيد ليفى أشكول، ثالث رئيس وزراء لإسرائيل، وخدم فى الجيش الإسرائيلى ضابطًا فى سلاح المخابرات، ثم درس علم النفس فى جامعة تل أبيب، وكذلك درس الكتابة الإبداعية فى جامعة بن جوريون.

5 طفل الفيلق الجنوبى

صدرت الرواية فى سبتمبر ٢٠٢٣، وتحكى عن ثلاثة أشخاص يعيشون فى شقة صغيرة فى تل أبيب فى أوائل الستينيات، هم: الأب والأم والطفل، وأحلامهم التى تحولت لكابوس بعد احتراق المصنع الذى كان يعد مصدر عمل تلك الأسرة.

تدور أحداث الرواية بين الإسكندرية وتل أبيب، والمناطق السكنية والمكاتب الحكومية والمساكن وما وراءها، عندما يصبح الأقارب غرباء ولا يعرف الغرباء كيف يقتربون.

وتسرد الرواية بطريقة مأساوية حادث حريق المصنع، الذى تعود ملكيته لجد الأسرة، وكيف أثر ذلك بطريقة صعبة على حياة الثلاثة أشخاص، وتجسد صدمة الأب تحديدًا بعد معرفته خبر احتراق المصنع.

رواية «طفل الفيلق الجنوبى» للكاتبة الإسرائيلية «ليا إينى»، التى ولدت فى يناير ١٩٦٢ بتل أبيب، بينما والدها هو أحد الناجين من المحرقة، ودرست الأدب واللغة فى «مدرسة الكيبوتسات»، كما عملت محررة فى إحدى الصحف اليومية.

حازت الرواية ٥ جوائز هى: الجائزة الإسرائيلية للكتاب العبرانيين عام ١٩٩٤، و«برنشتاين» عام ٢٠٠٦، و«بياليك» عن رواية «وردة لبنان» عام ٢٠١٠، و«نيومان» للإنجازات الأدبية والمساهمة والتأثير الشامل على الأدب العبرى الجديد عام ٢٠١٤، و«عجنون» لفن النثر عام ٢٠١٩.

جدعون ليفى.. المثقف اليهودى الذى يرفض الاحتلال!

«إسرائيل لم تذهب للحرب من أجل ارتكاب الإبادة الجماعية- لا شك فى ذلك- ولكنها ترتكبها عمليًا، حتى من دون قصد.. وكل يوم يمر فى هذه الحرب، بمئات القتلى، يعزز الشكوك».. ذلك التوصيف هو أحدث ما كتبه «جدعون ليفى» الكاتب الإسرائيلى المعروف لدى صحيفة «هآرتس»، حول السلوك الذى تتبعه تل أبيب فى حربها الحالية داخل قطاع غزة المحاصر، والمستمرة لنحو ١٠٠ يوم.

لم يكن حديث ليفى عن ارتكاب إسرائيل لإبادة جماعية فى غزة هو الأول فى مقالاته التى يكتبها بانتظام لدى «هآرتس»، بل يتعمد توصيفات أخرى مثل «الحرب الشريرة»، وأن تل أبيب تدفع ثمنًا باهظًا لسجنها نحو مليونى إنسان داخل القطاع، وأن ما تفعله من شرور لن يقودها إلى شىء.

وتثير آراء جدعون الداخل الإسرائيلى، وربما تجعله مكروهًا هناك، فمناهضته السلوك الوحشى الذى تتبعه إسرائيل تجاه الفلسطينيين، وتفنيده المستمر لأن احتلال الأراضى الفلسطينية يجب أن ينتهى، يجعل منه عدوًا للسياسيات القمعية التى تتبعها حكومة الاحتلال دائمًا ضد كل ما هو فلسطينى.

«جدعون ليفى» صاحب الـ٧٠ عامًا ولد فى يافا، لأبوين ممن هاجروا إلى الأراضى المحتلة فى فترة ما قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية وهربًا من المحرقة النازية، بينما لقى أجداده حتفهم فيها.

وتم تجنيد ليفى فى الجيش الإسرائيلى عام ١٩٧٤، وفى أواخر السبعينيات كان محررًا ومراسلًا فى الجيش الإسرائيلى، وبين عامى ١٩٧٨-١٩٨٢ كان متحدثًا باسم شمعون بيريز رئيس الوزراء الإسرائيلى الأسبق، وكان مرافقًا له فى حملته الانتخابية.

ورغم خدمته فى الجيش الإسرائيلى، إلا أنه ينتقد سلوكه ضد الفلسطينيين، لا سيما فى موجات التصعيد العسكرى، فعلى سبيل المثال وخلال الحرب الحالية، كتب جدعون، فى مقال بعنوان «لم يقف أى جندى ويرفض المشاركة فى الحرب الشريرة»: «إن مثل هذه الحرب الوحشية، التى لم تثر بعد الشكوك بين المقاتلين، تعكس عمى أخلاقيًا.. الطيارون ومشغلو الطائرات دون طيار شىء واحد، يرون ضحاياهم كنقاط صغيرة على الشاشة، لكن الجنود والضباط فى غزة يرون ما فعلناه، معظمهم من جنود الاحتياط، آباء وأمهات لأطفالهم، ويرون أكثر من مليون إنسان محرومين من كل شىء يتكدسون فى رفح، ويرون الجثث فى الشوارع، وبقايا الحياة بين الأنقاض، ودمى الأطفال وأسرّتهم، والخِرق الممزقة، والأثاث المكسور».

فى إسرائيل يصنفون «جدعون ليفى» على أنه محسوب على تيار اليسار، المناهض للحكومة اليمينية الحالية، كما أن آراءه غير المألوفة للمجتمع الإسرائيلى تجعله فى مرمى النيران دائمًا.

ولكن، كيف يصنف «جدعون» ذاته وهو يسبح ضد تيار إسرائيل الحالية؟ أجاب ليفى عن الأمر، إذ قال فى إحدى مقابلاته: «عندما بدأت تغطية الضفة الغربية لأول مرة لصحيفة هآرتس كنت صغيرًا ومغسول الدماغ.. فكنت أرى المستوطنين يقطعون أشجار الزيتون والجنود يسيئون معاملة النساء الفلسطينيات عند نقاط التفتيش، وكنت أعتقد أن هذه استثناءات وليست جزءًا من سياسة الحكومة، ولقد استغرق الأمر منى وقتًا طويلًا حتى أدركت أن هذه لم تكن استثناءات، بل كانت جوهر سياسة الحكومة».

ويهوى ليفى تعريف نفسه كـ«إسرائيلى وطنى»، وينتقد ما يعتبره عمى المجتمع الإسرائيلى الأخلاقى تجاه آثار أعمال الحرب والاحتلال، فمثلًا، يعتبر أن بناء المستوطنات على الأراضى الفلسطينية هو المشروع «الأكثر إجرامًا» فى تاريخ إسرائيل، وخلال حصار إسرائيل لقطاع غزة، قال إن محنة الفلسطينيين هناك جعلته يخجل من كونه إسرائيليًا.

إن كان الإنتاج الأدبى بالسنوات الأخيرة يفوق، وفق الملاحظات العامة، الإنتاجات الفكرية بالعالم العربى، ليُشكل تراكمًا جعل من غير اليسير تمييز الغث من السمين، فإن الإنتاج الفكرى للكُتّاب والباحثين العرب ما زال حاضرًا وإن بصورة خافتة. فبعد أن انتهت المشروعات الفكرية المؤسِسة بوفاة أصحابها وبتراجع الجدل الفكرى وسيادة حالة من الخِفة فى التعامل مع ظواهر الواقع، يصير القبض على الجهود الفكرية القليلة الراهنة لشباب الباحثين، وما تخطه أقلام المفكرين الكبار، الذين عاصروا ازدهار المناقشات الفكرية ثم خفوتها، مهمة كاشفة عن قضايا العالم المعاصر ومحللة لما قد تؤول إليه مستقبلًا.

نظرة على الإصدارات الفكرية العربية، التى شهدها العام الماضى 2023 يمكن أن تكون كاشفة عن مكامن القلق فى العالم المعاصر والرؤى الفكرية العربية إزاءه. فما بين قضايا قديمة، مثل واقع الحداثة بالمجتمعات العربية لم يُحسم الجدل حولها حتى اليوم، رغم أن الواقع قد تجاوزها، وأخرى راهنة تقض مضاجع مفكرى العالم لما تشكله من تهديد للوجود الإنسانى برمته، ثمة خريطة تكشف عن مكامن القلق الفكرى الحاضرة اليوم.

حنان عقيل

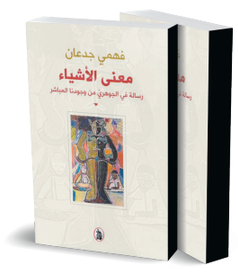

رغم تصدر الرواية.. كتّاب عرب يحللون أزمات العالم المعاصر

«مكتبة العرب» تبحث عن الإجابات: «لماذا تخلفنا؟.. وكيف دمر الإرهابيون الدين الإسلامى؟»

1 السؤال عن الحداثة

لا يزال السؤال عن أسباب خفوت الأثر الحداثى بالمجتمعات العربية حاضرًا بالخطابات الفكرية والمراجعات البحثية للكتاب العرب، ولا تزال الأطروحات المفسرة لذلك الغياب تتضارب وتتنوع بتعدد الرؤى الفكرية لأصحابها، فإن كان كبار المفكرين قد عاودوا طرح المسألة فى أحدث إصداراتهم بالعام الماضى، فإن بعضًا من شباب الباحثين عبّروا عن انشغالهم بها وفق طرح مختلف.

من أبرز الأعمال فى هذا الصدد يمكن الإشارة إلى كتاب المفكر السورى برهان غليون «سؤال المصير: قرنان من صراع العرب من أجل السيادة والحرية»، ففى هذا الكتاب تموضع قضية الحداثة ضمن إطارها الأوسع بالنظر فى الأولويات الجيوسياسية التى حكمت العالم على امتداد القرنين الماضيين، ومآلات ارتباطها بالإرث الاستعمارى السابق عليها والمحدد لها.

يجادل «غليون» فى كتابه بأن إرث السيطرة الاستعمارية قبل حقب الاستقلال ألقى بظلاله على العالم العربى؛ مخلفًا إخفاق المشروعات الحداثية، فبينما صُنع العالم الحديث منذ القرن السادس عشر على يد القوى الأوروبية الصاعدة، أدى تحويل موارد الدول المستعمَرة إلى المركز الاستعمارى الدور الأكبر فى نقل الرأسمالية الغربية من طور التجارة إلى الطور الصناعى، مقابل تفكيك اقتصادات الدول المستعمَرة وتحويلها إلى الشكل التابع المفتقد للديناميكية الداخلية.

يقدم المفكر السورى جولة بالتاريخ الحديث؛ ليوضح الكيفية التى تم بها وأد كل محاولات الخروج على الدور المحدد للبلدان العربية بعد استقلالها بناء على الاعتبارات الجيوسياسية، فعمل الدول الصناعية الكبرى على تعزيز نفوذها وبناء التكتلات والحفاظ على توازنات دولية قاد إلى إخفاق رحلة الحداثة، فضلًا عن تبلور مشكلات لا يزال العالم العربى يعانى منها وتعود جذورها إلى السياسات الاستعمارية وما بعد الاستعمارية.

فى المقابل، يقدم المفكر الأردنى فهمى جدعان بكتابه «معنى الأشياء.. رسالة فى الجوهرى من وجودنا المباشر» خلاصة لرحلته وانشغالاته الفكرية على مدار عقود، مُعلنًا أن رحلته تلك قد قادته إلى اليأس من شتى المذاهب الجاهزة، سواء كانت إسلامية أو ليبرالية، مقدمًا ما يقترب من التأمل الفكرى الفلسفى فيما يظنه جوهريًا فى مسائل جوهرية؛ فلسفية ومعرفية وفكرية وسياسية، تتصل بالإنسان والتاريخ والتراث والنظم الأيديولوجية الفاعلة، والقيم الأخلاقية الحاكمة والحياة والموت.

فى خضم رحلته لتحديد خلاصة ما وصل إليه من أفكار، يقيم جدعان مراجعة لجهود الفكر النهضوى العربى على امتداد تاريخه، يصل منها إلى غلبة الرؤى الأحادية على النهضويين العرب الأوائل فى تفسيرهم لواقع الهوة الحضارية وفى تحديدهم لسبل تجاوزها بالتعويل على عامل واحد لتحقيق التقدم المنشود، أما التيارات الفكرية بعد الاستقلال فى النصف الثانى من القرن العشرين، فيرى جدعان أنها قد وجهت وفق قضايا سياسية وتغيرات كبرى، فاحتلت الصراعات الأيديولوجية صدارة المشهد الذى شهد تنازعًا ما بين نظام الإسلام السياسى والنظام الليبرالى والنظام العلمانى، ليقع اختيار كل فريق على التصادم مع الآخر، ولتخفق أى محاولة لتقريب وجهات النظر لتحقيق مصلحة تنموية وإصلاحية بالعالم العربى.

على الجانب الآخر، قدم باحثون شباب رؤاهم حول إشكالية الحداثة بالمجتمعات العربية من منظورات أخرى، ففى كتاب «رحلة ميدانية فى عوالم ديكارت.. حول تعثر الحداثة عربيًا» ينطلق الباحث المغربى محمد كرّو من رحلة قام بها إلى بيت ديكارت نحو تحليل مفهوم الحداثة لدى الفيلسوف الفرنسى واستشكال السؤال حول تعثُر الحداثة بالعالم العربى.

وعلى الرغم من أن السؤال عن أسباب تعثر الحداثة عربيًا يعد محورًا صدّره المؤلف عبر عنوان كتابه، فإنه قصر عن تقديم تحليل واف له مكتفيًا بتوضيح أشكال استقبال الفكر الديكارتى فى الثقافة العربية وتحديدًا المصرية، واكتفى بالقول: «أخذنا نتائج الحداثة دون الأخذ بأسبابها، والمسألة معقدة أكثر مما نتصور فى بيئة غير بيئتنا ومنطلقات غير منطلقاتنا».

أما الكاتب الأردنى أحمد زهاء الدين عبيدات؛ فسعى بكتابه «كيف تنقلب سبع رذائل للحداثة إلى فضائل» إلى تحليل المثالب التى قادت إليها الحداثة الغربية للانطلاق نحو دحض الدعاوى العربية لرفض الحداثة الغربية بسبب المشكلات التى قادت إليها عالميًا من أخطار بيئية ورأسمالية استهلاكية ومطامع استعمارية، ولينوه بأن اتباع الحداثة بما تشتمل عليه من تمدن وتقنية وعقلانية قدر وجودى لا يمكن الحيد عنه، وأن الحداثة عابرة للأعراق والأديان والأيديولوجيات والحكومات.

2 أزمة حضور الدين بالمجتمعات العربية

إن كان فهمى جدعان فى كتابه «فى معنى الأشياء» لم يغفل عن تحديد رؤيته الدين وطبيعة حضوره المبتغى فى الوجود البشرى، فإن الباحث اللبنانى حبيب فياض فى كتابه «فلسفة التدين»، سعى إلى الانتقال من حقل فلسفى ارتكز على دراسة الدين، إلى آخر مرتكز على دراسة التديُن وأنماطه لينتزعه من حقول معرفية شتى، بحثًا عن نظرة كليّة لأنماط الممارسة الدينية وسبل استعادتها لتحقق هدفها الأسمى.

انطلق الكتاب من فهم مؤلفه لعمق أزمة حضور الدين بالمجتمعات العربية، وخصوصًا بالسنوات الأخيرة التى شهدت تجارب دينية مشوهة تأسست على التشدُد والإرهاب والفهم المغلوط للدين ونزعة ناقدة للدين وحضوره فى الفضاء العام، وفى الحالتين كان الابتعاد عن جوهر الدين هو المآل، ساعيًا نحو إبراز أوجه العلل فى نمطى التدين السلفى والليبرالى معًا، ليشير إلى أن التديُن يصاب بالخلل فى ظل ليبرالية مُفرطة فى التحرر من وصاية الدينى، وكذلك فى ظل سلفية موغلة فى الفهم الميكانيكى والشكلانى للنص.

3 التغير المناخى ومصير الكوكب

بعيدًا عن إشكالية التردى الحضارى للعالم العربى، يواجه العالم أجمع قضايا مشتركة شكّلها الاندماج العولمى والتطور الحداثى المستمر. فى هذا الصدد تحضر قضية التغير المناخى الذى يشغل القادة والسياسيين فضلًا عن الباحثين والمفكرين والمبدعين من مختلف دول العالم، وبات حضوره جوهريًا فى عديد من الأعمال الإبداعية والفكرية.

من الإصدارات اللافتة حول القضية يمكن الإشارة إلى كتاب «التغير المناخى وأثره على الصراعات فى شرق إفريقيا»، للباحثة نسرين الصباحى، فالكتاب يركز على النظر بعدد من الصراعات التى تحكم مناطق ملتهبة فى إفريقيا بعيدًا عن السياقات المعتادة، إذ تحلل الباحثة هذه الصراعات من منظور دور التغير المناخى فى تأجيجها ووصولها إلى ما باتت عليه، بالنظر فى تأثير التغير المناخى من جفاف وتصحر وارتفاع بدرجات الحرارة على منطقة شرق إفريقيا وتحديدًا دول السودان وكينيا والصومال وإثيوبيا، وتأثيره على تدهور سُبل العيش ببعض المناطق وتضرر بعض المناطق أكثر مما سواها، مثل إقليم دارفور بغرب السودان، وحوض بحيرة توركانا بشمال غرب كينيا، وحوض نهر أواش بشرق إثيوبيا.

كذلك فإن كتاب «تحدى الرأسمالية الخضراء.. العدالة المناخية والانتقال الطاقى فى المنطقة العربية»، والذى شارك فى كتابته عدد من الباحثين العرب، يركز على ما تعنيه العدالة المناخية وما يتطلبه تحقيقها، على اعتبار أن تطبيق هذا المفهوم يكفل عمليات تكيف جذرية وشاملة.

يجادل الباحثون فى مقالاتهم بالكتاب بأن دول الجنوب تحتاج إلى تعويضات مناخية أو تسديد الديون المناخية من الشمال الأكثر ثراء، كما يناقشون ما قاد إليه التغير المناخى من صراعات سياسية داخلية لا سيما فى بلدان شرق إفريقيا، واستغلال دول الشمال ثروات الجنوب، قديمًا وحديثًا، وارتباطه بأزمة المناخ، علاوة على التطرق إلى المطامع الرأسمالية التى قد تجعل من التخلى عن مكاسب اقتصادية مقابل الحد من الأزمات المناخية مطلبًا صعب المنال.

4 الذكاء الاصطناعى والوجود البشرى

على صعيد آخر، تأتى مآلات التطور التكنولوجى المتصاعد والمتسارع لتشكل صُداعًا برأس المهتمين بما سيؤول إليه مصير العالم والإنسانية، وبالسنوات الأخيرة أولى كثير من الكتاب العرب اهتمامًا بالنظر فى تلك المآلات المُحتملة للتطور التكنولوجى بمختلف المجالات، ومن ذلك تأثير التكنولوجيا على الأمن السياسي.

فى كتاب «الدولة وأمنها القومى فى عالم الذكاء الاصطناعى وتشابكاته»، تُلقى الباحثة هبة جمال الدين الضوء على تأثير التطور بمجال الذكاء الاصطناعى على حدود السُلطة فتشير إلى أن وظائف الدولة التقليدية لم تعد هى الأساس، لأن «الأتمتة» صارت من أبرز معايير الحكم على أداء السُلطة، ما يفرض على الدول الاهتمام بوظائف أمنية أخرى فرضها الذكاء الاصطناعى، تتعلق بتأمين البيانات وسرية المعلومات، خاصة فى ظل إمكانية شن هجمات سيبرانية واختراق المجتمعات، عبر استخدام دول أجنبية نظم الذكاء الاصطناعى فى التعرف على الأفكار والتوجهات السياسية والاجتماعية لأفراد الدولة المناوئة لها، وهو ما يُمثل تهديدًا للأمن القومى.

ولا يختلف ما يطرحه الكاتب اللبنانى فيصل مُصلح فى كتابه «السياسة فى ظل الذكاء الاصطناعى» عن الطرح السابق، إذ ينوه بأن عناصر السُلطة فى المستقبل ستختلف اختلافًا جذريًا عما هى عليه اليوم، لأن من سيمتلك التكنولوجيا الذكية سيكون قادرًا على التحكم فى العالم، لافتًا إلى أن خصائص القوة بالمستقبل ستتحول من القانون المكتوب إلى القانون الرقمى الذى تفرضه الآلة، وستشيع إدارة الأجهزة الرقمية للدولة، بما يُهدد بقلب كل الموازين الاجتماعية والسياسية والأمنية والاقتصادية.

يتفق الكاتبان على أهمية البدء فى اتخاذ إجراءات عاجلة لضمان وجود عادل للذكاء الاصطناعى بالمستقبل، لا يطغى على الوجود الإنسانى ولا يهدد حرية الأفراد والدول والمجتمعات، فتشدد هبة جمال الدين على أهمية وضع التشريعات اللازمة لحماية سيادة الدول، والاهتمام بتطوير القدرات التكنولوجية، فيما ينوه فيصل مصلح بأهمية إلزام شركات التكنولوجيا بالخضوع لرقابة صارمة، تقوم بها منظمة عالمية لمراقبة مختبرات الشركات التكنولوجية، وإلزامها باتباع المثل الإنسانية فى تطويرها للآلات، وأن تعمل الشركات التكنولوجية على تخفيف الهواجس والخوف والقلق لدى الناس من مخاطر ابتكاراتهم.

أما كتاب «الميتافيرس.. ثورة الإعلام الرقمى»، فيبين فيه الباحث فتحى حسين عامر وجود علاقة وطيدة بين تقنية «الذكاء الاصطناعى» و«الميتافيرس»، إذ إن «الذكاء الاصطناعى» إحدى الركائز التى يتم بناء «الميتافيرس» عليها فى الوقت الحالى والمستقبل، ويتوسع فى تبيان مجالات استخدام تقنية «الميتافيرس» التى تطورت خلال العامين الماضيين، إلى حد صارت معه الشركات التى تتعامل معها هى المهيمنة على قائمة أقوى الشركات على مستوى العالم من حيث القيمة السوقية. وعلى الرغم من أنه لا يزال قيد التطوير، يرى الباحث أن «الميتافيرس» سيصبح أساس التنافس بين الشركات التقنية الكبرى.

ينوه الباحث بأنه رغم المكاسب التى تعد بها التطورات التقنية بشكل عام، فإن «الميتافيرس»، لكونه منظومة تقنية افتراضية تسهم فى انهيار الفجوات بين الواقع والعالم الافتراضى، يحمل عددًا من التهديدات للخصوصية والصحة النفسية والجسدية للبشر، فعندما لا ندفع الثمن مقابل الخدمة، نصير منتجات يجرى تسويقها ومجرد فئران تجارب فى متاهة منظمة سلفًا لتحديد ومراقبة ورسم سلوكياتنا وانفعالاتنا ورغباتنا وفق مصالح الشركات المادية، علاوة على أنه يهدد الصحة العقلية والنفسية بتسريعه وتيرة الحياة اليومية بصورة مختلفة عما اعتاد الجسم والدماغ عليه، كما أنه يقود إلى زيادة فجوة العزلة الاجتماعية، ما يقلل فرص الترابط الاجتماعى، ويعزز الاضطرابات النفسية مثل الاكتئاب واضطراب القلق.

فى الختام، ينبغى الإشارة إلى أنه إذا كان التوجه الغالب عربيًا اليوم هو الكتابة الإبداعية من رواية وقصة صارت تحمل قضايا العالم المعاصر ولا تنفصل عنه، فما تزال الحاجة قائمة إلى جهود فكرية حثيثة تحلل اللحظة الراهنة بكل عنفوانها واضطرابها وتطرح رؤاها نحو الخروج من المآزق الكبرى التى تستغلق يومًا بعد الآخر.

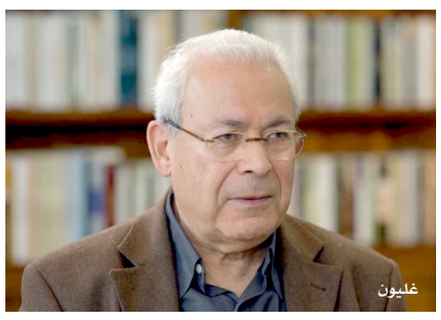
غليون

جدعان

السنوات الأخيرة شهدت تجارب دينية مشوهة تأسست على التشدُد والإرهاب والفهم المغلوط للدين

نسرين

فياض

مازالت فاتن حمامة تتألق رغم وفاتها من فترة، فهى فى قلوب المبدعين موجودة، وتحدث تألقًا وميضًا يجعلهم يكتبون عنها، فمازالت الأقلام مستمرة فى تناول سيرتها ومسيرتها الفنية، ومن بين تلك الكتب كتاب «فاتن حمامة سيدة الشاشة المصرية»، للكاتب حسن الحداد، الصادر حديثًا عن سلسلة كتاب سينماتك، الذى يقع فى 341 صفحة، ويضم 15 فصلًا تدور حول أفلامها، مقسمة إلى ثلاثة أبواب محاطة ومزودة بعشرات الصور الشخصية والفيلمية لفاتن حمامة فى مراحلها المختلفة.

نعمات مدحت

«فاتن».. السيرة غير المنشورة لـ«سيدة الشاشة العربية»

1939
كانت بداية فاتن حمامة مع السينما من خلال فيلم يوم سعيد

مازالت فاتن حمامة تتألق رغم وفاتها من فترة، فهى فى قلوب المبدعين موجودة، وتحدث تألقًا وميضًا يجعلهم يكتبون عنها، فمازالت الأقلام مستمرة فى تناول سيرتها ومسيرتها الفنية، ومن بين تلك الكتب كتاب «فاتن حمامة سيدة الشاشة المصرية»، للكاتب حسن الحداد، الصادر حديثًا عن سلسلة كتاب سينماتك، الذى يقع فى ٣٤١ صفحة، ويضم ١٥ فصلًا تدور حول أفلامها، مقسمة إلى ثلاثة أبواب محاطة ومزودة بعشرات الصور الشخصية والفيلمية لفاتن حمامة فى مراحلها المختلفة.

وتطرق المؤلف خلال فصول الكتاب، التى تضم مراحل تطورها الفنى، مقسمة كالتالى: البداية، مرحلة الصبا والشباب والانطلاق، الشخصية الرومانسية الميلودراما البكائية، تأكيد الشخصية الفنية، النضج الفنى، فاتن حمامة والمهرجانات السينمائية.

وفى الفصل المعنون بـ«البداية» تحدث عن أول أعمال سيدة الشاشة فقال: «إنه كان يومًا سعيدًا حقًا للسينما المصرية وليس اسمًا للفيلم الأول لسيدة الشاشة فقط، الطفلة ذات الثمانية أعوام التى أدهشت محمد كريم وأضحكت محمد عبدالوهاب (فتون) كما يحلو لكريم أن يسميها، أجبرت أنيسة، أن تتكلم كثيرًا بعد أن كان دورها كومبارس، رغم أنه فيلمها الأول».

فاتن حمامة هذه الفنانة التى تربعت على القمة، وزادت بريقًا وتألقًا بعد أن أهدت للسينما ما تجاوز المائة فيلم سينمائى، تركت بعضها علامات فى تاريخ السينما المصرية حتى خلال الـ ٥٠ عامًا الماضية وهى بذلك علامة مضيئة فى هذا التاريخ الطويل بما ملكته من قدرات وطاقات فنية مذهلة فى تحويل ما تقدمه من شخصيات درامية فى أفلامها إلى شخصيات إنسانية تنبض بالحياة.

حداد

والبداية كانت فى فيلم يوم سعيد ١٩٣٩ رابع أفلام محمد عبد الوهاب الذى أخرجه محمد كريم، وأفضل من يتحدث عن فاتن حمامة سينمائيًا هو كريم، باعتباره أول من اكتشفها ولقنها الدرس الأول فى فن التمثيل السينمائى، ويقول محمد كريم: لم أكن لأتصور أن فاتن حمامة هى التى ستخرج لى من بين الصور التى كنت أحتفظ بها للهواة لأجدها بملابس التمريض فى مجلة الاثنين ضمن مسابقة أجمل أزياء الأطفال، تحمل سنواتها السبع كل ذكاء البراءة.

حملت هذه الصورة المخرج محمد كريم على الاتصال بوالدها أحمد أفندى حمامة، والذى حضر مع فاتن إلى مكتب أفلام عبدالوهاب، حيث أجرى لها كريم تجربة سينمائية سريعة، فوجد أمامه طفلة ممتازة من جميع النواحى، طفلة أشبه بالمعجزة الأمريكية «شيرلى تمبل»، والتى كانت معاصرة لفاتن حمامة.

وكان دور أنيسة الدور، الذى ستؤديه فاتن فى الفيلم، من الأدوار الثانوية القصيرة الذى لا يتطلب ظهور صاحبته على الشاشة أكثر من دقائق سريعة، ولكن إزاء، ما شاهده كريم من موهبة عند فاتن حمامة، قرر أن يعيد كتابة سيناريو الفيلم فى كل ما يختص بدورها، كما أنه استعان ببعض كتاب الحوار ليدعوا حوارًا مناسبًا، وعمر هذه الطفلة الصغيرة، ظهرت فاتن فى دور أنيسة مع الموسيقار محمد عبدالوهاب وإلهام حسن وفؤاد شفيق وفردوس محمد، وعرض الفيلم بدار سينما «رويال» فى ١٥ من يناير ١٩٤٠، وكان بداية المشوار السينمائى للفنانة فاتن حمامة.

ولوح المؤلف بأن هناك ثلاثة أعوام غابت فيها فتون بعد فيلمها الأول، ليؤكد محمد كريم بعدها تصميمه على خلق سيدة الشاشة، حينما استعان بها فى فيلم «رصاصة فى القلب» الذى عرض فى عام ١٩٤٤، وبدأت رحلتها الفنية والانطلاقة الكبيرة.

بينما تناول الكتاب فى فصل آخر معنون بـ«مرحلة الصبا والشباب والانطلاق»، وأوضح خلاله أنها قدمت مجموعة من الأفلام تمثل المرحلة الأولى من حياتها الفنية، بداية بأول أفلامها عندما قدمت الطفلة الذكية المرحة، مرورًا بأفلام «رصاصة فى القلب» «أول الشهر» «ملاك الرحمة» حيث مرحلة الصبا وتفتح الموهبة وتطور الشخصية، لكن بهدوء واتزان ودون أن تكون هناك أدوار تستحق التأمل، مجرد فتاة حلوة ذكية.

وتطرق فى باب آخر إلى أعمال فاتن حمامة الرومانسية والتى سمى الفصل بـ«الشخصية الرومانسية»، التى سردها الكاتب قائلًا: «فكانت تجسد فى هذه الأفلام صاحبة الحب العذرى، هذا الحب الذى غالبًا ما يكون ضحية أوضاع اجتماعية ومعيشية، أو أن تكون الفوارق الطبقية فى الفيلم سببًا من أسباب التضحية، وقد برز هذا النمط من الشخصيات فى أفلام مثل: وداعًا غرامى، سلو قلبى، خلود، ارحم دموعى، أيامنا الحلوة، حب ودموع، حتى نلتقى، بين الأطلال، وقد جسدت فاتن حمامة أحلام فتاة العشرين، بكل ما فيها من تطلع إلى حبيب تعيش معه.

وفى فصل «الميلودراما البكائية»، والتى أكد المؤلف أنها فى هذه المرحلة بدأت فى مشوارها مع أفلام المخرج حسن الإمام، فى أفلام ملائكة فى جهنم، ظلمونى يا ناس، كاس العذاب، حب فى الظلام، الملاك الظالم، وقد حصرت نفسها بهذه النوعية من أفلام الميلودراما البكائية فى شخصية الفتاة المسكينة، وكانت هذه المرحلة سلبية فى حياتها، أو كانت لا تدقق فى قراءة السيناريو ومناقشته.

وتطرق الكاتب إلى فصل آخر معنون بـ«مرحلة تأكيد الشخصية الفنية»، والتى تصدت فاتن حمامة فيها لمشاكل الأسرة والبيت المصرى، وقدمت أدوار المعاناة الاجتماعية، حيث بدت واضحة فى أفلام: ست البيت، كل بيت له راجل، إمبراطورية ميم، أريد رجلًا، ولعل أهم تعبير عن هذه الشخصية هما الفيلمان الأخيران «إمبراطورية ميم» تلعب شخصية الأم المتسلطة والمتحكمة فى بيتها وأبنائها الستة، محاولة فرض أسلوب تربية معين، أما فيلم «أريد رجلًا» فهو يتناول الواقع الاجتماعى لقضايا الأحوال الشخصية، فهو يفجر قضية اجتماعية بالغة الخطورة، ألا وهى قضية الطلاق.

وجاء فى فصل آخر سماه «مرحلة النضج الفنى»، والتى بدأت هذه المرحلة عند فاتن حمامة منذ نهاية الخمسينيات، وبالتحديد مع فيلم «دعاء الكروان» حتى آخر أفلامها «أرض الأحلام» حيث بدأت تنتقى أدوارًا معينة، تحتاج لمعايشة حقيقية ودراسة عميقة للشخصية وانفعالاتها، ثم اشتغلت فاتن حمامة مع المخرج هنرى بركات، فى سبعة أفلام قبل فيلم « دعاء الكروان» ولكنها كانت أفلامًا يمكن وصفها بأنها عادية، لم تلفت الانتباه، على العكس من دعاء الكروان، فهو فيلم أقل ما يقال عنه إنه من بين أفضل الأفلام التى قدمتها السينما.

واختتم المؤلف هذا الفصل بالمخرجين الذين عملت معهم سيدة الشاشة العربية، فقال: «من المعروف للمتابعين لنتاج السينما المصرية أن فاتن حمامه وهنرى بركات بعد فيلم دعاء الكروان كونا ثنائيًا يعتبر من أنجح الثنائيات بين ممثلة ومخرج، بل إن افضل أعمال الاثنين، والمتتبع لمشوارها الفنى يلاحظ أن فاتن حمامة تعاونت مع أهم المخرجين المصريين بتعاقب أجيالهم فمن جيل الرواد الأوائل اشتغلت مع محمد كريم ويوسف وهبى وأحمد بدرخان، ومن جيل الأربعينات والخمسينات اشتغلت مع عز الدين ذوالفقار وهنرى بركات، وحسن الإمام، وصلاح أبو سيف ويوسف شاهين، ومن جيل الستينات والسبعينات اشتغلت مع كمال الشيخ وحسين كمال وسعيد مرزوق، أما بالنسبة لمخرجى السينما الجديدة، فقد تعاونت مع المخرج خيرى بشارة فى فيلم «يوم مر يوم حلو»، ومع داود عبدالسيد فى فيلم «أرض الأحلام».

لماذا قالت الملكة إليزابيث «يا سيد» لـ«جيمس بوند»؟

عاشت حياة ملكية حافلة، منذ ولادتها فى ٢١ أبريل ١٩٢٦، إلى أن توفيت فى ٨ سبتمبر ٢٠٢٢م، لم لا وعمرها البالغ ٩٦ عامًا، قضت منه ٧٠ سنة و٢١٤ يومًا على العرش البريطانى، تتحكم فى ١٥ دولة، وترأس منظمة «الكومنولث» التى تضم ٥٦ بلدًا.

هذه الحياة استرعت انتباه الكاتب الصحفى بيجاد سلامة، ليقدم إلى المكتبة العربية كتاب: «الملكة»، الصادر عن دار «كنوز» للنشر والتوزيع، فى ١٦٠ صفحة، وسيكون على طاولة القراء، خلال النسخة المرتقبة من معرض القاهرة الدولى للكتاب، التى تنطلق فى ٢٤ يناير الجارى.

ويكشف «سلامة» فى كتابه «أسرار وتفاصيل حياة الملكة إليزابيث»، قبل أن تأتى إلى الدنيا حتى وفاتها، مستعرضًا كل المراحل الحياتية والسياسية والاجتماعية لهذه السيدة التى تحكمت فى مصير العالم.

فى مقدمة الكتاب يقول المؤلف، مُلخصًا حياة الملكة إليزابيث: «فى سن السادسة، قالت لمدربها فى الفروسية إنها تود أن تصبح سيدة ريفية تملك الكثير من الخيول والكلاب، تمنت أن تعيش حياة ريفية بسيطة، لكنها لم تكن تدرى أنها ستصبح المكلة الأكثر جلوسًا على العرش».

ويضيف: «قبل ذلك كان للملكة إليزابيث صولات وجولات منذ نعومة أظافرها، تنبئ بأنها ستكون الملكة المتوجة»، مشيرًا إلى أنه «فى سن الثالثة عشرة، وقفت أمام ميكروفون BBC لتخاطب الفتيات فى جميع أنحاء المملكة البريطانية، كما أنها اشتركت فى الحرب العالمية، وقادت سيارة الإسعاف، وعملت مستشارة، ونسيت الحياة الريفية بالكامل».

وحسب الكاتب «تولت الملكة إليزابيث الحكم عام ١٩٥٢ وتوفيت عام ٢٠٢٢، لتظل على عرش المملكة المتحدة ٧٠ عامًا، حدثت خلالها أحداث تاريخية كثيرة وكبيرة، كانت الملكة فيها ثابتة لا تتأثر، وحافظت على التاج الملكى مرفوعًا».

ويستعرض الكاتب محطات ربطت بين الملكة الراحلة ومصر فيقول: «افتعلت مشاكل مع عبدالناصر وقابلت السادات ورحبت بمبارك، كما أنها كرمت ٥ مصريين»، وهو ما يكشف تفاصيله بشكل دقيق فى الكتاب.

ويواصل: «يُقال أن لها يدًا فى اغتيال عم الملك حسين، كما أنها أحبت الهند وإفريقيا، وسرقت منهما أيضًا، فمعظم مجوهراتها ومجوهرات المملكة مسروق من المنطقتين، لكن علاقتها كانت جيدة معهما، وهو ما ظهر فى جوابات التعزية والنعى التى خرجت بعد وفاتها، إذ أن أكثرها جاء من إفريقيا».

ويتطرق «الملكة» إلى كتاب آخر يكشف مجموعة من الأسرار الخاصة بأزياء الملكة إليزابيث الثانية، عن واحدة من أقرب مساعداتها، هى أنجيلا كيلى.

ووثقت «كيلى» مشاهداتها خلف الستار، خلال سنوات من العمل لدى ملكة انجلترا كصانعة ملابس وأحد أصدقائها المقربين، ووافقت الملكة بنفسها على إصدار الكتاب، الذى يحمل عنوان: «الوجه الآخر للعملة: الملكة والحائكة وخزانة الملابس»، فى إجراء غير معتاد.

وتقول «كيلى»، التى تولت تحضير ملابس الملكة منذ عام ٢٠٠٢، إن ما يقال عن وجود مساعدة ترتدى أحذية الملكة لفترة من أجل «توسعتها» حقيقى، مشيرة إلى أنها كانت تفعل هذا للملكة شخصيًا.

وتضيف: «الوقت الخاص بالملكة محدود جدًا، وليس لديها وقت لارتداء أحذيتها بغرض توسعتها، وبما أن أقدامنا لها نفس القياس، كان اختيارى لهذه المهمة أمرًا طبيعيًا».

وشاركت الملكة إليزابيث الثانية فى فيلم ترويجى، عُرض أثناء دخولها إلى الاستاد فى افتتاح دورة الألعاب الأوليمبية فى لندن عام ٢٠١٢.

وتقول «كيلى» إن الملكة وافقت على المشاركة فى الإعلان الترويجى لدورة الألعاب الأوليمبية فى لندن خلال ٥ دقائق، لتشارك فيه دانيل كريغ، الذى قدم شخصية «جيمس بوند»، وأُعجبت الملكة كثيرًا بالفكرة ووافقت على الفور.

سألتها إن كانت تحب أن تقول شيئًا فى النص، فردت دون تردد: «بالتأكيد يجب أن أقول شيئًا ما، فهو قادم لإنقاذى على كل حال». فسألتها إن كانت تحب الجملة أن تكون: «مساء الخير جيمس»، أم «مساء الخير سيد بوند»، فاختارت الأخيرة لتتسق مع الجملة الشهيرة فى سلسلة أفلام جيمس بوند، وخلال دقائق أبلغت المخرج دانى بويل بذلك، مضيفة: «أعتقد أنه سقط من مقعده فرحًا، عندما أخبرته بأن شرط الملكة الوحيد هو قول هذه الجملة».

الملكة إليزابيث

بيجاد

ع الرف

حكايات وشخصيات فى السياسة والثقافة والتاريخ

صدر حديثًا عن دار ريشة للنشر والتوزيع، كتاب «حكايات وشخصيات فى السياسة والثقافة والتاريخ» للكاتب الصحفى والأديب خالد إسماعيل، ومن الشخصيات التى عرض لها الكتاب، نجيب محفوظ وعبدالوهاب الأسوانى ويحيى الطاهر عبدالله، ومن الشبان القاص علاء أبوزيد، والروائية ميرال الطحاوى، وعدد من رائدات الأدب والصحافة.

موسم الفراشات الحزين

صدر حديثًا عن دار صفصافة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية من رواية «موسم الفراشات الحزين»، للروائى أسامة حبشى، والذى يقدم من خلالها عالمًا واقعيًا متمثلًا فى القضية الفلسطينية، وما تبع حرب ١٩٤٨ المعروفة بالنكبة من تهجير للفلسطينيين من قراهم وعيشهم داخل المخيمات على أمل العودة مرة أخرى.

رواية 72

صدر حديثًا عن دار عين حورس للنشر والتوزيع والترجمة رواية جديدة بعنوان «٧٢» للكاتب علاء السركى، تدور حول أحداث حقيقية تتذكر مرحلة هامة من تاريخ ذلك الوطن، وترصد حياة أبطالها والأحداث التى قادت كل منهم - حاملًا قصته المليئة بالشغف والطموح وحب الحياة - ليلتقوا معًا فى تلك الليلة، التى لن تنسى، وهى فترة ما بعد ٢٠١١ وقبل ثورة ٣٠ يونيو.

آفة حارتنا بين الذاكرة والنسيان

صدر حديثًا عن الدار المصرية اللبنانية للنشر، فى القاهر، للكاتب الكبير إبراهيم عبدالمجيد كتاب بعنوان «آفة حارتنا بين الذاكرة والنسيان»، وتدور أحداثها حول ما يحدث فى فلسطين بين الماضى والحاضر.

شعراء.. ولكن فقراء!

ماذا حدث للشعر؟ وما الذى أصاب الشعراء؟
وهل حقيقة أننا فقدنا الإحساس بالكلمة الحلوة.. والمعانى المنظومة؟
حقيقة تؤكدها الإحصائيات والأرقام.. إن دخل مؤلفى الأغانى الذين يكتبون الكلمات السطحية لا يمكن مقارنته بالدخل شبه المعدوم الذى يحققه الشعراء وهم يحاولون بيع قصائدهم.. ودواوين أشعارهم؟
ولذلك فإن الذين يكتبون الأغنية أكثر حظًا من المساكين الذين يكتبون الشعر.. والدليل على ذلك أن الأغنية الواحدة كثيرًا ما يغنيها أكثر من مطرب، وفى النهاية تتجمع أجور الأغنية وحقوق مؤلفيها فى جيوب كتاب الأغنية. أما الشعراء فهم لا يستطيعون أن يعيشوا مثلًا من دخل أشعارهم.. إذا استثنينا شاعرًا كنزار قبانى الذى انتهز فرصة تلحين بعض قصائده وأنشأ دارًا للنشر، توزع دواوين شعره ووضع فى جيبه الأرباح.

عبدالصبور

أباظة

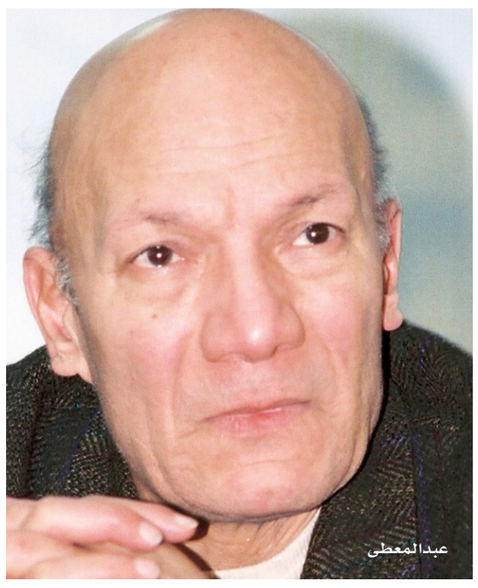
عبدالمعطى

قال لى الشاعر صلاح عبدالصبور:
– الفنون فى مجتمعنا الحديث– بكل أسف– أصبحت لا تقدر عادة حسب قيمتها.. بل حسب جمهورها.
والسؤال ليس.. إلى أى مدى تستمتع بالفن.. ولكن من يدفع ثمن الاستمتاع..؟
ويقول صلاح عبدالصبور:
– والشعر ليس أتعس حظًا من بعض الفنون الأخرى كالفنون التشكيلية.
قلت: ولماذا تربح الأغنية.. ولا تربح قصيدة الشعر؟
قال: الأغنية طبعًا تتجه إلى ملايين الناس. وتخاطب الأمى والمتعلم.. وتحتفى بها الإذاعة وشركات الأسطوانات.. وتنشر لها دعاية كأن حدثًا مهمًا قد وقع فى كوكبنا الأرضى.. وتكون نتيجة ذلك أن تدر ربحًا على كل من أسهم فيها.. وينال المؤلف جزءًا من هذا الربح. أما القصيدة الشعرية فهى توجه إلى جمهور ضئيل.. وتنتشر عادة فى مجلة أو صحيفة.. وتعتبر مادة غير مربحة..
قلت: وإذا جمع الشاعر قصائده فى ديوان لبيعه؟
قال: إذا جمع الشاعر بعد ذلك قصائده فى ديوان فالأمر هنا أسوأ ومأساته ستبدأ بالبحث عن ناشر.. وسيساومه الناشر مؤكدًا أن الشعر سيجلب عليه الخسارة.. ثم يصدر الديوان بعد هذه المفاوضات المزعجة، ويخرج إلى الحياة متواضعًا.
– ولن يعنى من يكتبون عن توعك صحة النجوم أو زواجهم بالكتابة عنه لمجرد الإعلان من وجوده.. فى النهاية أريد أن أقول إن هناك شيئًا خطأ فى عملية تقييم الفن عمومًا.
قلت: وما هو هذا الخطأ فى رأيك؟
قال: الخطأ ناتج عن النظر إلى الفن بمنطق السلعة الاستهلاكية.
قلت: وكيف نوسع دائرة قراء الشعر؟
قال: هناك وسائل كثيرة لهذا.. أولاها طبعًا رفع الذوق بشكل عام فإذا ارتفع الذوق فى كل المجالات.. فسينعكس ذلك على عدد قراء الشعر.
وتوقفت قليلًا أمام ما قاله لى الشاعر الكبير المرحوم عزيز أباظة..
قلت: هل كان الشعر فى يوم من الأيام مورد رزق؟
قال: كان ذلك فى يوم ما عند الشعراء القدامى.. كما حدثتنا بأخبارهم كتب الأدب.. أما فى عصرنا هذا فلم يكن الشعر مصدر رزق لشاعر واحد، بل على العكس إن شعراء هذا العصر لا يملكون شيئًا. وفى تقديرى أن الأرزاق التى كانت تهبط لهم عن طريق الشعر– وهم قليلون– لم تكن لتكفيهم معيشة يوم أو سهرة ليلة. أما شوقى فكان ميسور الحال، غير قليل النعمة فما أظن أن شيئًا من ذلك وافاه عن طريق الشعر، وإنما وافاه عن طريق المرتب أولًا.. ثم الزواج ثانيًا..
قلت: وأنت كشاعر كبير.. هل تعانى؟
قال: من ناحية القصائد فإننى لم أنشر إلا قليلًا منها.. وكان ما يتفضل علىّ به الناشر.. هو النشر.
وأما ديوانى «أنات حائر»، فلقد كنت التزمت فى طبعتيه الأولى والثانية أن أهديه للأصدقاء والأدباء.. وهذا ما وقع فعلًا.. وحين طلب منى الناشر أن ينشره للمرة الثالثة بحجة أنه مطلوب سمحت بنشره على أن أتبرع بحصيلته لجامعة القاهرة.. فكان الذى استفادته هذه الجامعة هو مائة وعشرون جنيهًا رغم نفاد الديوان.
قلت: وسبب محنة الشعر فى رأيك؟
قال: لا شك أن الشعر محنة هذه السنين، أما أصول هذه المحنة وباعثها فأظنها معروفة. فالشعر الأصيل الذى يسمونه «تقليديًا»، أو العمودى دخل إلى قداسته كثيرون ممن لا يعرفون عن الشعر إلا أنه كلام موزون، وفى هذا إضعاف وتشويه لإخوانهم الشعراء المجيدين وهم كثيرون والحمد لله.
– وحال الذين يكتبون ما يسمى بالشعر الحديث هى نفسها هذه الحال بل شر منها.. فإذا استثنينا من هؤلاء أربعة أو خمسة ضُمت عليهم لجنة الشعر أيضًا.. فإن الباقين يتخبطون فى تيه لا يعلم مداه إلا الله.
قلت: أما الشاعر أحمد عبدالمعطى حجازى فله فى أزمة الشعر رأى آخر يخالف كل الآراء التى سمعتها من كل الشعراء الذين ناقشتهم..
قال لى أحمد عبدالمعطى حجازى إذا كنت تقصد أن الشعر يعانى أزمة فنية فهذا صحيح– والسبب أن المرحلة الأخيرة قد طرحت حالة نفسية جديدة، كما طرحت أسئلة كثيرة لا أعتقد أن الشاعر قد استطاع أن يجد لها فى فنه صيغة مناسبة.. كما أعتقد أن المثقف عامة قد وجد هذه الصيغة.
قلت: الأزمة التى أعنيها.. هى أزمة تسويق الشعر نفسه؟
قال: لا توجد أزمة تسويق.. فالواقع أن هناك إلحاحًا واضحًا فى طلب الشعر.
قلت: بالمقارنة بما يجازى به مؤلفو الأغنية.. ألا تعتقد أن الشعر فى أزمة؟
قال: طبعًا.. خاصة أننا نعيش فى مجتمع يجب ألا يحكمه قانون العرض والطلب.. بل ينبغى أن يحكمه قانون القيمة.. إن كل المجتمعات الاشتراكية تضع الفن الرفيع فى أعلى مكان وتكافئه أعظم مكافأة لأنها تنظر إلى قيمته الحضارية والإنسانية الرفيعة، وهى بهذا تزيد الاهتمام به وتحوله إلى إنتاج مطلوب من عامة الناس، أى تحوله إلى حاجة شعبية.. ولكننا نستجيب للحاجات القائمة ونبنيها دون أن نحاول تغييرها وخاصة فى مجالى الفن والأدب. إن هز البطن أغلى عندنا من الباليه.
قلت بهدوء شديد للغاية:
– هل تقترح أن تصدر الدولة.. مثلًا قرارًا باحترام الشعر؟
قال أحمد عبدالمعطى حجازى:
– لا.. الحل ليس فى إصدار قرار من هذا النوع.. فالفن كأى سلعة يجب أن نقيمه بقدر ما يبيع.. وأنا شخصيًا موافق على أن نترك المال والسيارات الفاخرة والمعجبات الحسناوات لمؤلفى الأغانى ونكتفى بدخل أشعارنا بشرط أن تعطى هذه الأشعار فرصتها فى تحقيق الدخل الحقيقى الذى يمكنها أن تحققه..
وآراء.. وأفكار كثيرة سمعتها أن الشعر فى أزمة فماذا حدث للشعر؟
وما الذى أصاب الشعراء؟
وهل حقيقة أننا فقدنا الإحساس بالكلمة الحلوة.. والمعانى المنظومة؟
أنا وغيرى نقول: نعم!

صلاح عبدالصبور: العقيدة الشعرية مادة غير مربحة وتذل صاحبها أمام الناشر

حياتهم بلا خجل | تأليف: محمد تبارك | الناشر: مؤسسة أخبار اليوم | 1974 | 127 صفحة

وفنانون كبار.. وفقراء أيضًا!

ماذا يحدث للفنون التشكيلية عندنا..
إنها أكثر فنوننا تقدمًا.. الرسم يسبق الفن السينمائى فى بلادنا بمئات الأميال.. والمسافة بينه وبين المسرح أطول من أن تقاس.. كذلك الحال بالنسبة للقصة أو للموسيقى!
ومع ذلك فإن الفنانين التشكيليين عندنا يعيشون فى مأساة اسمها «عدم الإحساس» بما يرسمون من لوحات أو ينحتون من تماثيل.

ففى الوقت الذى كان يبيع فيه سلفادور دالى.. وغيره من الفنانين فى الخارج لوحة واحدة يوازى ما يقبضه فيها. ثمن فيلا عندنا.. فإن رساميا لا يجدون من يحاول مجرد شراء لوحة من إنتاجهم!.
وعشرات الاعترافات المثيرة التى سمعتها من أفواه الفنانين عندنا الذين قالوا بصراحة:
– إننا يجب أن نبحث لنا عن مهنة أخرى غير الرسم.. لنعيش منها أولًا.. وبعدها علينا أن ننتج لا لنبيع إنتاجنا.. فهذا شىء لا يمكن أن نتوقع حدوثه.. ولكننا ننتج لنرضى أنفسنا أولًا.. ولنوزع لوحاتنا على أصدقائنا ومعارفنا بلا مقابل.. أو لإقامة معرض.. نعرض فيه لوحاتنا لإرضاء نفوسنا من الداخل.. ثم علينا بعد ذلك أن نتناسى المعرض لنعيش فى أزمة أخرى ونحن نسدد ديون المعرض.
وأتوقف عن سرد بقية القصص والحكايات المثيرة التى سمعتها لأقدمها لك على لسان أبطالها الذين يعيشونها.
قال لى الفنان صلاح طاهر:
– ما يقبضه سلفادور دالى فى لوحة واحدة يعادل ببساطة ثمن فيلا!..
قلت: وأنت؟
قال: أنا وغيرى من الرسامين.. لا بد لنا من البحث عن عمل نعيش منه أولًا.. وبعدها علينا أن ننتج.
قلت: وأين يذهب إنتاجك؟
قال: لا أبيع منها غير واحد على الخمسين.. والباقى أوزعه هدايا على الأصدقاء.. أو الأقارب بمناسبة زواجهم.. وفى النهاية.. الفنان دائمًا يخسر وهو ينفق على الفن.
قلت: وسبب هذه الظاهرة فى رأيك؟
قال: الفن التشكيلى من أكثر الفنون تطورًا.. فهو يسبق السينما. ويبعد عن المسرح كثيرًا.. ولكن مشكلته أن لغته لم يألفها الناس بعد.. بعكس الكلمة.. لغة بقية الفنون الأخرى التى يألفها الناس ويتعاملون معها.. وفى الخارج وجد من يفهم لغة الفنون التشكيلية.. ووجد من يتعامل معها. وفى مصر عدد قليل جدًا هم الذين يفهمون ويتعاملون مع لغة الفنون التشكيلية.
قلت: والمعارض..؟
قال: المعارض وحدها لها مشكلة. يكفى عذاب نقل اللوح إلى صالة العرض. ثم إعادتها إلى المنزل.
وكسباق التتابع.. يلتقط الفنان جورج البهجورى نهاية حديث صلاح طاهر ليبدأ حديثًا جديدًا عن مشكلة الفنانين التشكيليين.. يقول جورج البهجورى وهو يعبث بلحيته:
– حاولت تخطى حاجز الصوت والضوء الموجود بيننا وبين الجماهير فقررت إقامة سلسلة من المعارض أعرض فيها لوحاتى.
وحتى الآن افتتحت سبعة معارض باسمى..
فماذا كانت النتيجة؟
ويتوقف جورج عن الحديث لحظات يقول بعدها:
–وخرجت من المعارض السبعة مدينًا بسبعمائة جنيه. لا يزال النجارون وأصحاب محلات الزجاج والمكتبات يطاردوننى لتسديدها..
قلت: ولوحاتك التى تبيعها؟
قال: أنا لا أبيع لوحاتى.. ولا أذكر أننى بعت لوحة بأكثر من مائة جنيه اشترتها منى وزارة الثقافة. أما بعد ذلك فلوحاتى كلها هدايا.. بالمناسبة.. مش عاوز لوحة هدية.. أنا تحت أمرك!
قلت: والحل السريع؟
قال: حزمت لوحاتى. وأستعد هذا الأسبوع للسفر معها إلى لندن وعرضها فى قاعة «ودستوك».
وطلب جورج الانصراف..
قلت: لماذا يا جورج؟
قال: لأحصل على ترخيص تصدير.. فالفنان يعامل تمامًا كالتاجر الذى يبيع سلعة!
وبمناسبة سفر جورج البهجورى للخارج، ماذا يحدث للفنان التشكيلى المصرى عندما يسافر إلى الخارج؟
قالت لى الفنانة تحية حليم:
– انتهيت من رسم لوحة اسمها «فرحة النوبة» وحددت لها لجنة شراء اللوحات التابعة لوزارة الثقافة مائة وعشرين جنيهًا..
وتصادف أن دعانى سفير السويد وزوجته بالقاهرة لزيارة السويد لأعرض بعض لوحاتى هناك.. وأقمت معرضًا وبعت نفس اللوحة بما يعادل خمسمائة جنيه مصرى.
– إن معظم اللوحات التى أبيعها يشتريها أجانب من السياح الذين يزورون مصر.
قلت: والذين يشترون اللوحات من المصريين أنفسهم؟
قالت: تقريبًا شبه معدومين طوال السبعة والعشرين عامًا التى أرسم خلالها من عمرى!
قلت: لماذا فى رأيك؟
قالت: لأن المسألة أولًا وأخيرًا أننا لم نحاول أن نقرب للناس أهمية أو فائدة شراء لوحة فنية..
ووقفت طويلًا أمام حديث الفنان «بيكار»، قال لى بيكار وهو يتحدث بهدوئه المعهود:
– رسمت لوحات لا عدد لها..
– وعدد اللوحات التى بعتها لا أتذكره ولكن الذى أذكره جيدًا أننى بعت ذات يوم لوحة بعشرة قروش، وعلى وجه التحديد فى ١٩٣٤ كنت أرسم ولم يكن فى جيبى ثمن الخبز الذى أحتاجه وقال لى زميل من باب «التريقة».. تبعها بعشرة صاغ؟ قلت أوافق.. وفعلًا بعت اللوحة وتسلمت العشرة قروش لأشترى ما أحتاج إليه.
ويتنهد بيكار وهو يقول لى:
– المشكلة تبدأ من هنا.. من العزلة الموجودة بين المثقفين عندنا وبين الفنانين التشكيليين.. وبين الفنانين عمومًا وبين الفنانين التشكيليين. بيوت المثقفين بعضها خالٍ تمامًا من لوحة لرسام.. وإذا أراد مثقف أن يؤكد إحساسه بالفن.. وبالجمال فإنه يطلب من يعد له ديكور المنزل دون أن يفكر أو يهتم بمتطلبات هذا الديكور من لوحة جميلة لفنان تشكيلى.
إنها فضيحة..
أتحداك أن تدخل بيت كاتب– أو فنان سينمائى فتجد لوحة، فيما عدا قلة لا تذكر.. والنادر لا حكم له.
– لماذا؟.. يحدث هذا فى الوقت الذى أصبحت فيه الفنون التشكيلية لغة عالمية غزت السينما وأصبح المخرجون فى الخارج يعرضون أفلامهم بلغة الفنون التشكيلية.. والس·ينما عندنا لا تزال بعيدة!
قلت: والآن بعد كل هذا ماذا يحدث؟
قال: إحساسنا بالجمال يتضاءل.. إن الفنون التشكيلية التى يعنيها فى حاجة إلى مؤتمر فنى لدراستها.
.. وأخيرًا..
ماذا يحدث للفنون التشكيلية عندنا؟
ألم أقل لكم إنها فى أزمة..

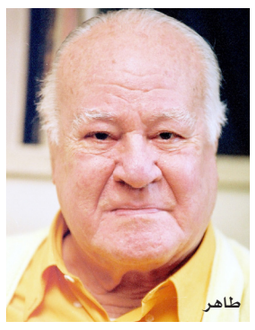
طاهر

الفنانون التشكيليون يعيشون فى مأساة «عدم الإحساس» بما يقدمون

سلفادور دالى

البهجورى

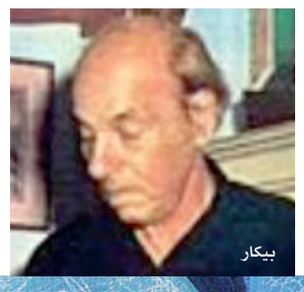
بيكار

حرف

الدستور الثقافى

إصدار إلكترونى يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر

رئيس مجلسى الإدارة والتحرير د. محمد الباز

الأربعاء
10 يناير 2024
28 جمادى الآخرة 1445
1 طوبة 1740

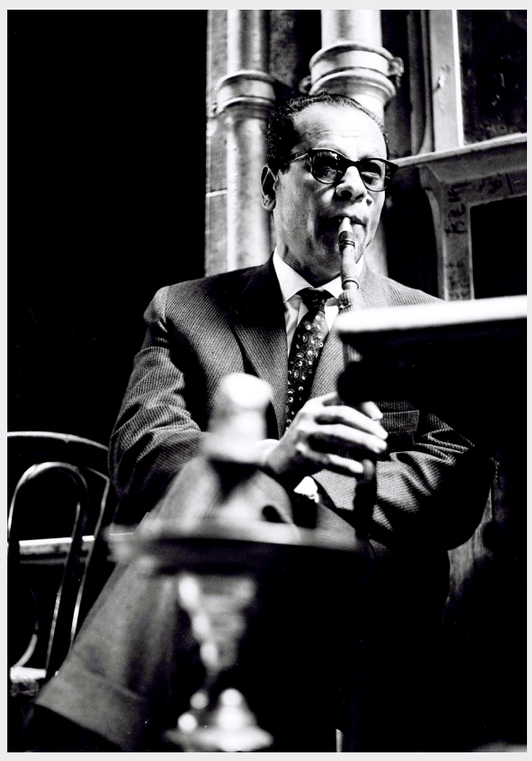

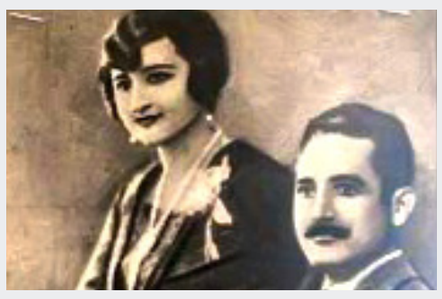

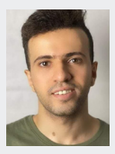

كوالا بشرية

فى مديح المواطن البيتوتى

فى علم النفس هناك تصنيفان للشخصية، فالواحد منا إما يكون انطوائيًا أو انبساطيًا، والانطوائية باختصار هى تفضيل الانعزال وتجنب الآخر والتقوقع داخل الذات، كسلحفاة أدخلت رأسها داخل صدفتها مكتفية بعالمها الداخلى دونًا عن المحيط الخارجى.. وعلى النقيض يوجد الشخص الانبساطى أو قل الاجتماعى وهو شخص منفتح على الآخر، مقبل على الحياة بجرأة، وهو فى مثالنا كسلحفاة تخلت عن صدفتها للأبد، وراحت تواجه العالم بجسارة وتستكشفه..

محمد مجاهد

واتفق علماء النفس على أنه لا وجود للانبساطى الكامل ولا الانطوائى المحض، وإنما كل منا يحمل قدرًا من هذا وذاك، ووفق الكفة الراجحة فى سلوكك يتم تصنيفك لأى من الفريقين، فمن يتخيل مثلًا أن مارك زوكربيرج، مؤسس فيسبوك، الذى ربط العالم ببعضه عبر الفضاء الإلكترونى، هو شخص انطوائى بالأساس، وكذلك باراك أوباما، رئيس الولايات المتحدة الأسبق، الذى نجح فى إقناع ملايين الأمريكيين لانتخابه رئيسًا لأقوى دولة فى العالم لفترتين متتاليتين، فهو «بارد للغاية وانطوائى، ولا يهتمّ إلا بشكل هامشى بمن حوله» حسب وصف رئيس فرنسا الأسبق ساركوزى فى كتاب مذكراته بعنوان «زمن المعارك».

وسواء كنت اجتماعيًا أو انطوائيًا، فلا مشكلة، لا يوجد أفضلية هنا لفريق عن الآخر، ورغم أنها تصنيفات تضع الإنسان فى قالب، إلا أنه يظل إنسانًا.. إنسانًا عاديًا.. لا إنسانًا مقولبًا، والعالم يستوعبك فى الحالتين.

خذ عندك مثلًا فى وظيفة العلاقات العامة يبحثون عن الشخصية الانبساطية، وفى مجال البرمجة والتقنية يبحثون عن الشخصية الانطوائية «عشان ماحدش يزعل».

كل ما سبق شبه متعارف ومتفق عليه فى دوائر علم النفس.. فما الجديد؟

أقولك أنا.. الواحد منا قد يكون انطوائيًا أو اجتماعيًا- تمام مافيش مشكلة- أما أن يكون «بيتوتى» جديدة دى!

والبيتوتى هو مصطلح دارج اتخذ صفة التصنيف والقالب بل والوصمة لصاحبه، ففلان بيتوتى أى أنه ملازم بيته لا يخرج منه إلا للشديد القوى، حتى لو وقع الشديد القوى «واتطربقت السما ع الأرض» قد لا يبرح صاحبنا فراشه ولا يحرك ساكنًا.

ولقد اعتدنا تشبيه مثل هؤلاء بأوصاف عدة كـ الباندا والكوالا وحيوان الكسلان وحتى فرس النهر.. اختارلك حيوان من دول مش فارقة.. تصور أن ينعتك أحدهم بـ سيد قشطة لمجرد أنك تفضل المكوث فى منزلك عن صحبته!

وأنا هنا أسأل ما المشكلة فى الشخص البيتوتى؟ ولم نتعامل مع تفضيله المكانى والشخصى على أنه عيبة يجب التخلص منها، وسُبة فى حقه تستجلب العار؟

أحدهم جاوبنى ذات مرة بآية من القرآن «وخلقكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا» فرددت عليه بحديث من السنة «إلزم بيتك، وأمسك عليك لسانك» وكدنا نمسك فى خناق بعض.. كل هذا لأننى رفضت دعوته الكريمة للقهوة البلدى ولعب جيمين طاولة!

ولتسمحوا لى بوقفة هنا من باب الإنصاف، وبصفتى كائن بيتوتى صِرف، أود أن أتحدث بلسان كل كوالا بشرية.. كيف يرى هو العالم؟ لا كيف يراه العالم؟

دعونا نبدأ بما لا يحبه البيتوتى، فهو ينفر من الزحام بكل أشكاله، زحام السيارات والأشخاص والمهام وحتى زحام الأفكار، يبغض الضجيج والضوضاء والصخب والدوشة بكل أشكالها، وبداهة فهو ينعم بالهدوء والبراح والوسع الذى يوفره له منزله مهما كانت مساحته.

البيتوتى شخص يحترم حدوده النفسية، ولا يسمح لأحد بانتهاكها مهما كان، ولزومه بيته يحمل رمزية لتلك الحدود التى ضربها عند عتبة بابه، والبعض يرى فى ذلك أعراضًا لرهاب اجتماعى، وهو افتراض خاطئ بالكلية، فنحن لسنا أمام شخص متوحد كما يبالغ البعض، وإنما شخص انتقائى لأعلى درجة، يختار بعناية من يسمح له بالدخول لعالمه عبر فلاتره الخاصة تمامًا كفكرة بوابات المترو، لا عبور إلا لمن يحمل التذكرة.

أما عن تهمة السلبية التى تطوله، فربما ترجع للخلط بين الشخص البيتوتى والشخص الـ «مأنتخ»، فالبيتوتى ليس حيوانًا كسلانًا، ولكنه على سبيل المثال لا الحصر، يفضل العمل من منزله وقد يتقاضى ضعف راتبك من عملك الميدانى أو المكتبى، نحن نتحدث هنا عن تفضيلات شخصية للبيئة المحيطة وليست اضطرابات نفسية، ويكفينا أن ندلل بالمقارنة بين العملاقين نجيب محفوظ وعباس العقاد؛ فالأول- أديب نوبل- الذى كان يروقه الكتابة على مقهى ريش وسط الزبائن وصياح النادل وخلافه، وفى المقابل كان العقاد حبيس بيته أو صومعته كما كان يحلو له وصفه، لا يخرج منه إلا نادرًا كأن يحضر صالون مى زيادة الثقافى، كى يمارس طقوس الحب من طرف واحد، ثم يعود أدراجه ثانية..

نحن هنا أمام شخص مسالم، كافى خيره شره، بعيد كل البعد عن اضطرابات نفسية مستشرية كـ حب الظهور وأخذ اللقطة، وبالتالى فهو يستمد رضاه من داخله.

ينعم بدفء البيت والمساحة الآمنة التى يوفرها جدرانه ومنسجم مع أركانه ومساحته الخاصة، يختفى عن الأنظار لينفرد بذاته فيعالج أفكاره ويمحصها، وهو بالتالى لا يستبعد أن يكون أكثر وعى ذاتى من غيره وأقل عرضة للوقوع فى الأخطاء الناتجة عن التسرع والعجلة وغياب التأنى وعامل الزمن الذى تختمر فيه الأفكار.

وأخيرًا أود أن أطرح سؤالًا لكل من يرفض هذا الطرح: لماذا تطلق على حمامِك بيت الراحة، وتستكثر علىّ أنا أن يكون فى بيتى.. راحتى!

صوت الثقافة فى مصر

دعوة لكل الكُتاب والنقاد والمبدعين.. شاركونا بإبداعاتكم

Email:dostornews@dostor.org

حكمة الأيام

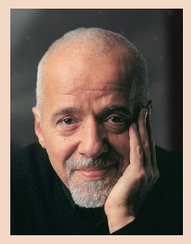

إن الحب لا يمنع رجلًا بأى حال من الأحوال أن يسعى وراء أسطورته الذاتية، وإذا حدث ذلك فمعناه أنه لم يكن حبًا حقيقيًا، أى الحب الذى يتكلم لغة العالم.

باولو كويلو

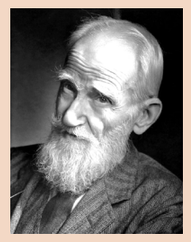

الإنسان هو الحيوان الوحيد الذى يثير رعبى.. بينما لا يشكل الأسد الشبعان أى أذى؛ فليس لديه أى مذاهب أو طوائف أو أحزاب.

برناردشو

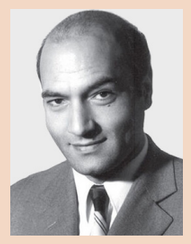

إلهى هبنى حياة لا آسف، إذ يدنو منى الموت على لحظة فيها غير مثمرة. وهبنى موتًا لا أحزن على عبثه. ذرنى أصطفى أنا ذلك، على أن ترتضيه أنت. إلهى: علمنى كيف أحيا، أما كيف أموت فإنى سأعرفه.

على شريعتى

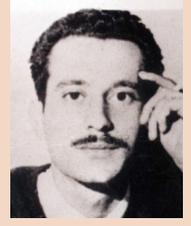

إنّ موتى يفتحُ أمامَكِ حياتكِ ورغم ذلك فأنتِ تعرفين أنّه من المحزنِ حقًّا أن يموتَ الإنسانُ الذى تعرفينه والذى تُحسِّين عذابَه.

غسان كنفانى